الشيف فرانسوا

قصة أحداثها ذات محاور قيمية

يكتبها: زهير منصور المزيدي
المؤسسة العربية للقيم المجتمعية | ZUMORD123@GMAIL.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فينســيا، وتســمى البندقية، هي مدينة ليســت شــاطئية وإنما هي في البحر، يوما بعد يوم تغمرها مياه بحر الادرياتيكي، واجهة ســياحية يقصــدها الســياح من كافة أرجاء العالم، حيث البيوت التاريخية العتيقة وأزقة ضـيقة فيما بين البيوت وفوق ذلك نجد الفنادق والمطاعم أوجدت لها أماكن في ظل فوضـى جغرافية للمدينة، تتخللها شوارع من 150 قناة مائية، لتمخر بها قوارب الجندول.

وفي ناحية من نواحي المدينة ثمة منازل متراصة تشرف على قناة مائية، نسمع تمازج لأصوات أربعة من الشــبان، عبر شــقة علوية من منزل عتيق، مســتغرقين في لعب الورق، وبحماس يلقي أحدهم ورقة ليســدد ضربته القاضية على الفريق فيحقق الفوز، فيتأفف الجميع عبر القلق الذي كان يساورهم طوال اللعبة، حيال فوز ذلك الشاب الذي يتدلى شعر رأسه على وجهه، ويمضـغ العلكة طوال الوقت، وتنتهي اللعبة لتبدأ مجددا عملية توزيع الورق، ، فيقول أحدهم، وقد بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، الآن لاحظوا معي إضاءة الغرفة قبل العلوية في الفندق المقابل لمنزلنا، فإذا بالفعل تضـاء الغرفة، فيستغرب الجميع من تنبؤ صـاحبهم هذا، ليقول لاحظت إنارة الغرفة هذه يوميا وعلى مدى عام، في تمام الســاعة الثالثة بعد منتصــف الليل، ولا أعلم سرا لذلك.

أحدهم: لعله نظام أمني يعمل بشكل تلقائي

والآخر: ولعله بداية ساعة العمل لمسؤول كبير في الفندق!

تنتقل الكامرة نحو الفندق، فتعلو إلى أن تصل للطابق قبل الأخير، فتصل إلى شرفة الغرفة لتطالع الامر، فإذا برجل يبلغ الستين من العمر، يقصد المكتب الذي في غرفة نومه وهو يباشر في الكتابة.

شقة الشباب ولعب الورق

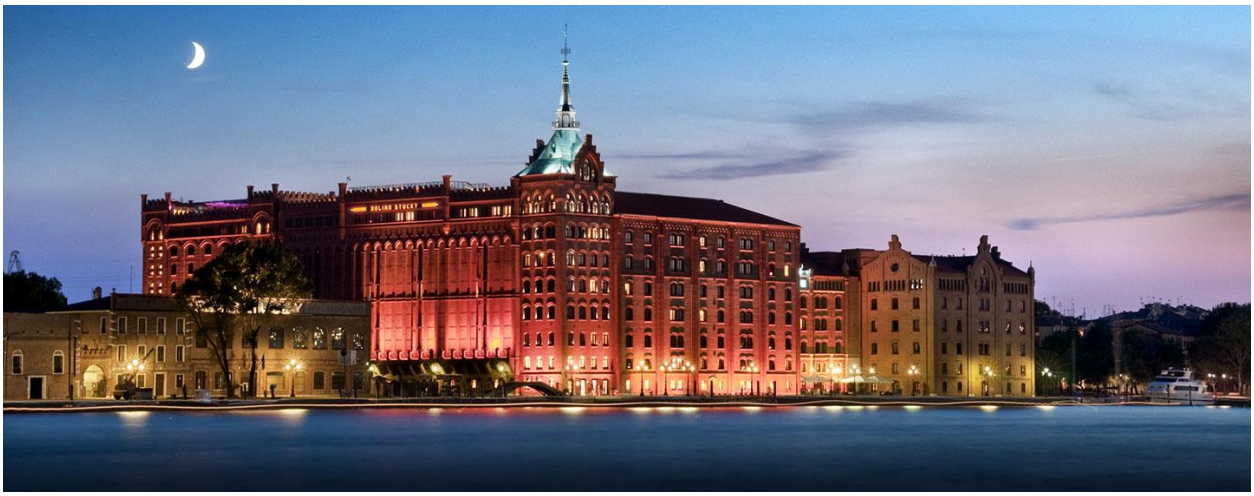

الفندق

المكتب في شقة الرجل الستيني

الرجل الستيني يكتب مذكراته

ونلاحظ في زاوية الغرفة موضـــع فيه بعض مجســمات القطع الاثرية والتي ظهر في وســطها لوحة علوية لقبعة شيف للطهاة، وقد كتب على القبعة الشيف فرانسوا

نعم فهذا الرجل الســتيني هو الشــيف فرانســوا بن بردان الذي تألق في مجال الطهو، ما جعله منافســا على مســتوى أوروبا ودول أخرى في العالم، دشــن لشــركته جناحا في فندق فينيســيا، وطاب له المقام في غرفته الفندقية هذه بعد مسيرة مليئة بالاستثارة للحياة التي عاشها، فهو فرنسي من أصل تونسي، ووالده هارون بن بردان متزوج من امرأة بوسنية اسمها هناء، وقد ترعرع فرانسوا في البوسنة مع والديه وجدته ، وعندما بلغ التاسعة من العمر، قرر والدية مغادرة البوسنة للعمل في فرنسا، ما جعل الجدة، التي تعيش وحيدة في منزل جمهم جميعا، أن تطلب من والدي فرانسوا، أن يبقى برعايتها، لحين يستقر أمر الوالدين في فرنسا، وهو ما جعل مثل هذا المطلب محل قبول للوالدين، ولم يعلما أن فرانســوا ســيبقى لحين أن يبلغ الرابعة عشــرة من عمره في كنف جدته أمينة.

كتب فرانســوا في مذكرته: لم تجد جدتي أمينة مكانا أفضــل لها من المطبخ في التوجيه والتربية لي، فهي تقضــي معظم وقتها في التحضــير للطعام، فتســتثمر وقت التحضــير للتوجيه وتعزيز العلاقة معي، لقد كانت جدتي ماهرة في التحضير للطعام، فأنا أتابع جميع حركاتها كما لو كانت حركات بهلوانية ومهرجان، يجعلني مستمتع ومنبهر بما أراه، في قص البصل والخضروات، فقد كنت أتابع حركة السكين السريعة أثناء حركة القص، كما لو كانت ماكنة قص الحشــائش، ويعجبني الصــوت المنبعث عن القص، كما كانت تســتثيرني، تطاير الروائح المنبعثة عن كل غلة تعمد اليها في القص أو التقشير، كنت، أعلم ما نوع الغلة إن كانت بصلا أو بطاطا أو حتى خضــار، حتى مع إغلاق عيني عن المشــاهدة، وذلك عبر صــوت القص المتتابع ســريعا، فلكل غلة درجة من الصــلابة والرائحة ما ينم عن معلمها، لقد كانت تقول لي جدتي أن تنوع الغلل وأمزجتها

في القص والتقشير أو السلخ هي كأمزجة البشر، فمنها الطيع ومنها المعاند ومنها الذي لا يتركك حتى تبكي دموعا، ومنها ما يبهجك برائحته وهكذا

وفي إحدى لقاءات جدتي في المطبخ، حينها كان عمري أحد عشر ربيعا قالت لي:

الجدة أمينة: إن لكل طبق نحضر له كطعام ثمة ما يناسبه من الخضار، فهذا مثلا الكرفس، تعال واشتمه، ثم خذ عودا منه وذفه، وقل لي ما الإحساس الذي انتابك ؟

فرانسوا: رائحة زكية، تذكرني بوالدتي حين تقدم لنا طبق في الأعياد

الجدة: نعم هناك علاقة وطيدة فيما بين ما تتذوق وتشـــم وتنظر إليه مع الجو المحيط بك، فمع اســـتثارة الحواس، تصـــبح الذاكرة متقدة فتســـجل تفاصـــل أي موقف تتعرض له، حتى ولو كان حزينا، خذ الان هذه النبتة وقلي ما اسمها؟

فرانسوا: البقدونس

الجدة أحسنت، وما الاختلاف الذي تلاحظه كمذاق ورائحة مقارنة بالكرفس؟

هكذا كانت الجدة تعلمني ما وراء كواليس الطبخ، كي يعجب الذي يأكل الطعام بالمذاق والنكهة معها، وهو ما جعلني أستكشف بنفسي باقي مذاقات الخضروات وروائحها.

وعندما بلغت سن الثاني عشر، بدأت الجدة تبين لي كيف أن ذات طعم الوجبة يتغير بتغير مزاج الذي يأكل، فمع الاستماع لمقطوعة موسيقية يختلف المذاق مقارنة بالاستماع لصوت الديك وشقشقة الطيور، ويختلف حال كنت حزينا فتتناول ذات الوجبة، ذلك أن عملية التذوق والمذاقات على تنوعها تتأثر بكيميائية الجســـد وحالته حين يأكل فتتلون تباعا نفســـية الآكل، وهو ما يجب أن تحتاط إليه حيال بدأت بالتحضـــير للوجبة أو تهيئة المكان لآكلها.

كنت أتلقى منها كل ذلك باستمتاع، وكانت تسمح لي بتناول السكين عندما بلغت الثالثة عشرة، وترشدني بالأســـلوب الأمثل في قبض الناصـــل، وزاوية التقطيع المثلى مع كل صـــنف، بما فيها أنواع اللحوم وحتى الأسماك.

كانت جدتي موســـوعة من الخبرات، حين تقول لي أن أصـــناف الطعام تتنوع وتختلف بإختلاف الثقافات، فنحن البوسنويون

أطباقنا، تتضـــمن البندورة، البطاطا، البصـــل، الثوم، الفليفلة، الخيار، الجزر، الملفوف، الفطر، الســـبانخ، الحبوب الطازجة والمجففة، الخوخ، الحليل، الفلفل الأحمر والكريمة.

ويتكون طعامنا التقليدي في البوسنة من اللحم ذو الجودة الاستثنائية والمحضر بعناية واهتمام، ويؤلف منه معظم الوجبات الغنية والمتنوعة، وقد كانت ترشدني مع كل جلسة في المطبخ لطبق من الاطباق وفق الثقافة البوسنية، فبدئ بالبورك أو كما تسمى بالبيتزا البوسنية،

حيث تتكون البورك من عجين الفيلو الثخين والمطاطي مع مســـحة من زيت الزيتون، ومحشـــو باللحم، أو الجبنة، وأحياناً السبانخ أو التفاح.

ويعتبر خبز البوريك من الأكلات الشـعبية التي يفضـلها السـكان المحليين في مدينة سـراييفو، و يعتبر وجبة يومية في غذائهم.
يشـتهر خبز البوريك بإسـم البيتزا الشـعبية، حيث أنه يتكون من عجينة مصـنوعة من الطحين تشـبه عجينة البيتزا.
و يقدم ساخنًا مضافا إليه زيت الزيتون.

وفي اليوم التالي تعرفني على كيفية إعداد طبق الكيفابي: Cevapi

حيث يعتبر طبق الكيفابي من أفضل الأكلات الشعبية في مدينة سراييفو، و غالبًا ما يتم تناوله في وجبة الغداء ويتكون طبق الكيفابي من مزيج اللحم الضـأن المفروم و اللحم البقري، مع خلطة البهار الخاصـة، و يتم شـويه على شـكل اصـابع كالسـجق تقدم مع البصـل، اللبن (الكريمة الحامضـة)، والخبز البوسـني يدعى صـمون أو ليبينج. ويقدم الكيفابي مع قطع من خبز البيتا البوسني، بالإضافة إلى شرائح البصل و القشدة الحامضة.

فلما وجدتني جدتي أمينة مهتما بالتحضـــير للوجبات على تنوعها، بدأت بوضـــع لائحة بأســـماء الأطعمة، وجعلتني أحرر مقابل كل وجبة المكونات وآلية التحضـير لها، فكان مني أن خصـصـت مذكرة خاصـة بي أدرج فيها كل تلك الاطباق، فجاء في الاطباق البوسنية أيضا:

Sahan –

طبق لذيذ مشـــوي من أنواع لحوم مختلفة، وعادة ما يكون طبق كبير ، لكن متعته في تجربته مع الجماعة لتذوق النكهات المختلفة.

Đuveč –

حساء من اللحم والخضار مطبوخ بالفرن، عادة ما يطهى في وعاء فخاري الذي يمنح الطبق اسمه، يتضمن هذا الحساء لحم الدجاج، الخروف، وأحيانا البقر أو السمك، والخضـار كالبصـل، البندورة، الفليفلة، الكوسـا، الباذنجان، البازيلا، البطاطا والجزر، وتنكه بالخل، الفلفل الأحمر بالإضافة الى غيرها من الأعشاب.

طبق حساء بوسناسكي لوناك: Bosnaski Lonac Soup –

يعتبر طبق حساء بوسناسكي لوناك هو الحساء الشعبي منذ مئات السنين.
يتم اعداد طبق حساء بوسناسكي لوناك من اللحوم والخضروات، حيث يتم وضعهم بالتناوب في وعاء عميق، ثم يضاف إليه الماء.
يتميز طبق حساء بوسناسكي بالبهارات و الأعشاب الخاصة التي توضع فيه، و تعطيه نكهة مميزة لها رائحة تجذب السياح إلى تجربتها.
يستغرق حساء بوسناسكي لوناك حوالي ٤ ساعات في الطهي، ويتم اضافة الماء إذا تشربته الخضروات اثناء الطهي
يقدم في وعاء عميق بجانب الوجبة الأساسية، وتضاف اليه بعض قطع الخبز حسب الرغبة.

كان لجدتي أمينة جيران رائعون، يترددون عليها في كل حين، ومما زاد علاقتهما ببعضهما البعض، استشهاد زوج جارتها نعيمة في حرب البلقان، ما جعلها أرملة كأمينة، ولدى نعيمة ابنتان، وكانت تطمح جارتنا لان أكبر كي أرتبط بعقد زواج مع إحدى ابنتيها، غير أن قدر الله لم يتم بعد أن رحلت مع والدي لفرنسا لاستكمال مشوار حياتي التعليمية.

أما أنا فلم أكن موفقا في تحصيلي الدراسي في البوسنة، بل كنت بالكاد اجتاز المراحل الدراسية وبصعوبة، لم أكن أهوى دروس الرياضيات بالرغم من العمليات الحسابية التي كانت ترشدني اليها جدتي أمينه عبر مراعاة أوزان ما يتم التحضير له أثناء إعداد أطباق الأطعمة، ما بين مقادير الطحين ومقادير السكر ودرجات حرارة الافران، وإلى أن بلغت الرابعة عشر من عمري، حيث كان لا بد من أن أتلقى تعليمي في فرنسا بصحبة والدي، وهو ما جعل جيران جدتي أمينة يقدمون لها مقترح دمج شقتيهما كي يتمكنون من رعايتها بشكل مناسب، خاصة أن جميع أفراد الشقتين سيكونون من النساء.

وبالرغم من إصرار والدي بن بردان على ألا يدع والدتي دون رعاية في البوسنه، حيث أغراها بمعيتي في فرنسا، حين نسكن معا في منزل والدي هناك، غير أن جدتي لم يطاوعها أمر ترك إرث من الذكريات عاشته في البوسنة مع صويحباتها ما قبل الحرب وما بعدها، فوعد والدي جدتي أمينة بزيارة شهرية لها.

في فرنسا وجد والدي أنني ماهر في مسار عملي في طهي الأطعمة، فباريس تعتبر قبلة في المعاهد التأهيلية التي لا يضاهيها أي معهد في العالم، فقرر أن التحق بأحد أفضل تلك المعاهد لاستكمال تحصيلي التدريبي والتعليمي لمعهد للطهاة، وقد انتظمت، وبعد إنتظامي لمدى شهرين لاحظت أن التدريس يقوم على أركان ثلاثة:

ركن التعريف بالأعشاب والمحاصيل الغذائية بأنواعها، وما تتمتع به من فوائد وعناصر غذائية

ركن أساليب التحضير والطهي وأسرارها

ركن أساليب الابداع في التقديم والابتكار فيها

فمع ركن التعريف بالأعشاب، وجد الشيف أنني كنت أسابقه في تعزيز معلوماته، بما أحاطتني به جدتي أمينه من معلومات عن الأعشاب والحقائق الخاصة بها، وهو ما جعلني مقرب منه، حين أجبته على سؤال وجهه للجميع عن الاعشاب، فأجبت قائلا:

إن أعشاب الطهي أو الأعشاب الورقية التي تضيف نكهة ولون لمختلف أنواع الوجبات التي نتناولها، تتصف بغنى فوائدها الغذائية وتساعد على الوقاية من أمراض عديدة كأمراض القلب والسرطان والسكري وتشمل هذه الأعشاب: الثوم والريحان والزعتر والحلبة والكزبرة والثوم والبقدونس.
كما يمكن استخدام أجزاء من هذه النباتات كالزهور والأوراق والجذور ـ وتستخدم لأعراض متعددة كإعطاء لون او طعم معين للطعام ، ويمكن استخدامها للحلويات

وأذكر حين سأل الشيف عن فوائد الأعشاب في عمليات الاستشفاء، فلم يجبه أحد من الطلبة غيرى حيث قلت:
تناول الأعشاب مفيد لعدة أمراض كأمراض القلب والسرطان والسكري، وقد أظهرت بعض الدراسات ما يلي:

-الثوم وبذر الكتان والحلبة يساعد على خفض الكولسترول.

-الثوم جيد للأشخاص الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم بشكل معتدل.

-يساعد بذر الكتان والحلبة والقرفة على السيطرة على مستوى الأنسولين وسكر الدم.

-الثوم والبصل والكرات والنعناع والريحان والزعتر والميرمية وأنواع أخرى من الأعشاب تساعد على الوقاية من السرطان.

-وتعنبر الأعشاب الغنية بمواد الأكسدة وخاصة القرنفل والقرفة والميرمية وبعض التوابل مفيدة لخفض الكولسترول السيء في الدم.

- وتعتبر الأعشاب الطازجة هي الأكثر فائدة من تلك المجففة حيث تحتوي على نسبة أعلى من المواد المضادة للأكسدة وتساعد على الوقاية من تجلط الدم وتحمي من الأورام وأنواع من الالتهابات

انبهر الجميع من إجاباتي، وهو ما جعل الشيف برنارد يختارني كمساعد له في التحضير والتوجيه للطلبة أثناء عمليات الاعداد وطهو الطعام، وهو ما زادني ثقة بقدراتي.

برنارد هذا يبلغ من العمر الخمسين، وله شاربين مبرومين من الأعلى، وهو دائم الافتخار بهما، ويقول على الدوام وهو يمزح، من ليس له شارب كشاربي فهو ليس بطاه ماهر!، وهو دائم الابتسامة، وقلبه مليء بالحنان مع من يدربهم، حيث أنه يتعامل معهم كما لو كان بمثابة جدة للجميع.

في المنزل، كانا والدي يتفقدان أدائي في المعهد، وانبهرا بما كنت أحققه من نتائج، أما مائدة عطل نهاية الأسبوع، فأنا الذي أقوم بإعدادها كاملة دون مساعدة الوالدة، وكنت أسعد أيما سعادة برضاهما عما أطبخه بيداي، وكنت أشرح لهما مع كل مائدة أعد لها، ثقافة الأطعمة، تارة مع الأطعمة الفرنسية وتارة مع الأطعمة الإيطالية وهكذا.

وأذكر أنني دخلت في حوار مع والدي حيال ثقافة الأطعمة الفرنسية، حيث أبلغته أن ثمة أكثر من 9000 مطعم في باريس، كما إن المدن الساحلية تنتشر بها المأكولات البحرية عالية الجودة، وتنتشر أشجار التفاح التي تستخدم في صنع العصير وبعض الحلوى مثل صوص التفاح ، وتزرع كميات كبيرة من القمح والهندبا البرية شمالي هذه المنطقة، وهي المنطقة الفرنسية الأفضل في أنتاج الخرشوف والقرنبيط، كما تنمو بها الحنطة السوداء على نطاق واسع

أما ا وادي لوار • وسط فرنسا

فيتميز بالفواكه عالية الجودة، لاسيما الكرز والكمثرى والبطيخ والفراولة، كما تتميز تلك المنطقة بثروة سمكية لابأس بها بالإضافي إلى الثروة الحيوانية متمثلة في العجول والماشية والماعز التي تستخدم في صنع الجبن الفاخر كما تتخصص مدينة "أورليانز "بإنتاج الخل

بن بردان: وماذا عن ليون؟

فرانسوا:ليون - رون - الألب

تشـتهر منطقة وادى الرون بالفواكه والخضـروات، كما تشـتهر منطقة بريس بالدواجن، توجد النقانق بكثرة في كل من ليون وسافوى حيث جبال الألب العريضة الشهيرة بالثروة الحيوانية.

والدة فرانسوا: وماذا عن تولوز؟

فرانسوا:تولوز• • كيرسى • • أفيرون

يشـــتهر اقليم جيرس الفرنســـي بـالـدواجن، في حين يشـــتهر إقليم لمونتـانى نوار بـالنقـانق الجـافـة، وتزرع الذرة البيضـاء بكثرة في تلك المنطقة لاستخدامها في تسمين البط والأوز، فضـلاً عن إنتاج عصـيدة الذرة، تنتج هناك أفضل أنواع الخبز في فرنسا، ينتج هناك أيضا الحليب الغير مبستر المستخدم لإنتاج جبن الروكفورت في أفيرون، ويتم إنتاج المياه المعدنية بكميات كبيرة في هذه المنطقة أيضاً.

لم يتوقعا والدي مني مثل هذا التفصيل، وهو ما جعلهما فخورين بي، كما جعلاني كما لو كنت مستشارا لهما ليس في مجال الأطعمة والمطاعم فحســب، بل حتى كمرشــد ســياحي لهما حال رغبا التنزه خارج باريس العاصمة الفرنسية.

لقد تعلمت ما هو أرقى حيال عالم الطهو، عبر هذا المعهد، فقد أصـبحت أعلم الفوائد الصـحية عن كل نبات وصــنوف اللحوم والبهارات وغيرها، كما إنني أدركت الجوانب النفســية لذلك، فعلمت أن اللقاء الذي يجمع الزوج والزوجة على مائدة الطعام دافعه مختلف لدى كل منهما، فالزوجة عندما تختار المطعم أو الطعام، فدافعها العلاقة العاطفية بزوجها، بينما الزوج دافعه المكان والأجواء، التي قد تذكره بذكريات جميلة قضــاها في بلد ما أو في سفر جمعته بالزوجة أو الوالدين، وهكذا، فالطعام يستثير الذكريات عبر ما يمدك من روائح أو مذاقات.

برنارد وفرانسوا:

في المعهد، تميزت على أقراني، ذلك أن الشـيف الذي كان يوجهنا، كان يواجه مشـكلة مع بعض المنتظمين حتى في عدم معرفتهم لأبسط الأشياء أثناء التحضير في مثل أسلوب قص البصل والبطاط أو في التحضير للحمة وتشـكيل عملية قص الأجزاء المناسـبة وفق كل طبق ونوع الطعام، لقد كنت الأكثر احترافا في ذلك، ذلك لما تعلمته ومارسته مع جدتي أمينه، لم أعد محترفا في مهارة القص للبصل بل أضحيت أمارس شيء من البهلوانية في عمليات التحضـير وفي عملية رش الملح في الطعام، بل حتى عمليات التتبيل للطعام سـواء مع السمك أو اللحم فقد كنت أدرك المقادير ودرجات حرارة الافران ومواعيد استخراج كل صنف منها أثناء عمليات الطهي، وهو ما جعل الشـــيف معجب بمهارته وتفوقي على أقراني، وهو ما جعله يعرض علي أن أكون مساعدا له في الورش التالية وبرامجه التدريبية في المعهد.

في رش الملح بأسلوب استعراضي

يشـعر فرانسـوا بالفرح إزاء العرض الكريم من الشـيف برنارد، ليتولى مهمته كمسـاعد وموجه للمنتظمين الجدد، وتبدأ العروض تتوالى على فرانسـوا من معاهد أخرى منافسـة، غير أن الصـداقة التي تعززت مع برنارد تثني كل اسـتجابة من تلك المعاهد، وهو ما جعل ارتباط الصـداقة هذا يسـتمر وينمو ليعرض عليه برناد أن يكون شـريكا معه في المعهد، ليصـبح معهد الطهاة هذا من أكبر المعاهد في فرنسـا في تعليم من يرغب العمل في مطابخ كبرى الفنادق في باريس وخارجها،

برنارد هذا إيطالي الأصـل، وهو من نابولي، كما إنه اعتنق الإسـلام عبر صـداقات جمعته مع بعض الجزائريين أثناء مرحلته الجامعية، فعشـق الإسـلام كدين مثلما عشـق الطهي كمهنة، بدأت تتعزز علاقة الصداقة فيما بين فرانسوا وبرنارد الذي وجد في فرانسوا خير صديق وشريك

أما أنا فأصـبحت أتأمل في تصـرفات برنارد وأعجب بها، قولا وممارسـة، فوجدت فيه التفاني والإخلاص ووجدت مراقبته لله فيما ينجزه من أعمال، ومع انبهاري بشخص برنارد كتب متأملا قلت فيه:

تأملتُ..(دوام) الحال الذي اعتدت عليه، ربما لعقود خلت، فلعلك ركنت لأسـلوبٍ ونمطٍ في حياتك ما جعلك تثّاقل إلى الأرض، ومع الإذن الذي به تحركت العواصـف من حولنا ، فعليك أن (تتأهب للتغيير) ، تغيير في أسـلوب تفكيرك، وتغيير في نمط حياتك، وتغيير فيما كنت تعتقد من أنه ثوابت، ذلك أن الثابت الوحيد هو الله ﷻ والدين الذي ارتضـاه، وعلية تُطوّع وتُوائم نمط حياتك وأسـلوب تفكيرك وفق ذلك، حينها سـتدرك لِمَ آلتْ الأمور إلى ما هي عليه الآن وفي الغد .

وفي يوم تخرج طلبة المعهد، يمتثل الطلبة أمام الشـيف برنارد والشـيف فرانسـوا، كي يتسـلموا شـهادات التخرج، فيكون للشيف فرانسوا الكلمة التالية،

أعزاءي طلبة معهدنا الرائد، وعزيزي المتخرج، ليكن في علمك أن الطهي وتقديم الطعام هو ليس عمل تقليدي، بل هو فن ، ومجالات الابداع فيه لا نهائية، وإن مذاق الطعام يتغير بتغير المزاج الذي يأتي به العميل بهدف تغيير مزاجه أو تعزيز سـعادته وفق مزاج أرفع، وعليه يجب أن تتعرف على عميلك قبل أن ترشـح له ما يناسـبه من أطعمة، والتعرف عليه يكون عبر ملاحظة حركاته وما ينتقيه من كلمات ومشـاعر عندما يتواصـل معك، فمع أول حديث يتم بينكما يجب أن تكون حاضـر الذهن بما يجعلك قادر على تصـنف مزاجه قبل ترشـيح ما لديك من قوائم للأطعمة، ثم يجب أن تعرف أن المعكرونة على سـبيل المثال، على بساطة التحضير الخاصة بها يختلف التحضير لها وفق الاقليم الجغرافي الذي ينتمي اليه كل زبون،

فسكان شمال إيطاليا يعشقون المعكرونة "البيستو "Pesto – و "البولونيز"Bolognese – ، في حين أن سكان وسط إيطاليا يفضلون أطباق المعكرونة "الكاربونارا "Carbonara – مع الطماطم.
بذلك تصـبح مهنتكم كمهنة الطبيب الذي يشـخص أولا الحالة كي يصـف الدواء بعد ذلك للمريض، أما دوائك فهو للإسعاد وتفعيل حواسه كي يحظى بمزاج منسجم، حينها تأكد أنك قد ملكته، وسوف يعاود تكرار التجربة معك مجددا.

مرحلة العروض من الفنادق:

برنارد يستلم مضبطة بريدية تتضمن عرض من أحد الفنادق، فيتجه لفرانسوا فيقول: فرانسوا، لقد جاءنا عرضا اليوم من فندق رينيسانس لاستلام مطابخهم في فينيسيا فما رأيك؟

فرانسوا: هل العرض مغرى كي نترك نحن ما فيه في المعهد؟

برنارد: بل أقل، ولكن أجدها فرصة، فما العمل؟

فرانســـوا: لم لا نختار ممن دربنا في المعهد، كي نقدم لهم عرض نحن من طرفنا للعمل معنا كمســـاعدين، وعليه نكون صفا تاليا نعتمد عليه في التشغيل، ليصبح دورنا التوجيه بشكل غير مباشر.

برنارد: بالفعل أنا لدي قائمة من هؤلاء، لنجرب عبر لقاء ندعوهم إليه كي نتعرف عن قرب مدى حماســهم، وإمكانية الرهان على ما تفضــلت به من مقترح، وأثناء ذلك نذهب للفندق رينيســانس للتعرف على إمكانات مطابخهم، وسعة التشغيل في مطاعمهم.

زيارة رينيسانس:

جمع فرانســوا وبرنارد حقائبهما للســفر الى فينيســيا للتعرف على نوع الفرصــة، وعبر مطار شــارلديغول، إستقلا الطائرة المتجهة الى إيطاليا، وفي الطائرة ومع تقديم وجبة الغداء، أخذ يعلق برنارد قائلا:

برنارد: مؤشرا على الأصناف المقدمة لوجبة الغداء، ما رأيك يا فرانسوا ؟

فرانســـوا: والله أنا معك، ولكن هل يســـمح لمعهد مثلنا تقديم عروض لشـــركات طيران للتجهيز لوجباتهم الغذائية؟

برنارد: ولم لا إن كنا مستوفين للشروط، ولا ضـير حتى لو لم ننجح في الفوز بالعرض، المهم أنها فرصــة ولنبذل السبب لها.

فرانسوا: وكيف يمكنك إقناع شركة طيران بتغيير لائحة الطعام وهم لم يشتكو بالأساس؟

برنارد: عبر ما ينمون به من خسائر حيال ما يقدمون!

فرانسوا: وكيف علمت أنهم يمنون بخسائر؟

برنارد: الم تلحظ عدد الركاب في الطائرة؟ ثمة مقاعد شاغرة ونحن في موسم عطل.

فرانسوا: ومن قال أن عزوف الركاب عن الحجز بهذه الشركة سببه لائحة الطعام؟

برنارد: لم أقل هذا، بل إن الإعلان عن لائحة جديدة بالطعام بما يعزز الاهتمام بصحة الانسان وما يعزز في الابتعاد عن أمراض السمنة والسكر وغيرها كثير، هو المحور الذي سنعتمده في تقديم العرض الخاص بنا.

فرانســوا: نهج في التســويق بحاجة الى تقليب لاتخاذ قرار كهذا، ولكن من حيث المبدأ فأنا أحييك على هكذا طرح، وعليه كتبت:

تأملتُ.. التغيير الذي طرأ على شخصيته، فلم يعد قلقاً أمام ما ينتابه من معوقات، وأراه (يقتحم) بالرغم من المخاوف والعوائق التي تحيط به، أعرفه جيداً من أنه كان يرتعب حتى من إبرة الطبيب، ولكني اليوم أراه يتنقل من طبيب إلى آخر دون أن يشعر بأي إنزعاج فما بين طبيب أسنان وما ادراك ما يحدث داخل الفم من أبر تخدير إلى عمليات حفر ورصف، وطبيب عظام حيث خرج بقائمة من التطعيمات العضلية! تساءلت ما الذي تغير، أدركت حينها المفهوم الذي يطرحه نبينا ﷺ في الحديث (اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا..)، فلاحظت أن جميعنا سيتعرض لذات المعوقات والآلام، غير أننا غير متساوون في التعاطي لها من قَبول أو

رفض مع كل أزمه أو عائق حتى وإن كانت (شوكه) ، فتلك العوائق والأزمات تصبح لا شيء ، فهي لن تعدو أن تكون سوى صور، وفق (الا ما جعلته سهلا) فسبحانه يربط على قلبك ويجعلك متقبلا للأزمه أو العائق أو المصيبة، فيقلل من شأنها، (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر) ، أولئك محركهم إيمانهم بما في يد الله من تسهيل ورصف للمعوقات و الازمات ، ذلك هو اليقين (بمعيّة الله) الذي غير وهذب سلوكه.

ومع وصولنا للفندق المطل على قناة مائية ساحرة، توجهنا لمكتب المدير

مدير الفندق: لم يكن إرسال رسالة لكم اعتباطا، بل كان بعد إرسال طواقم من طرفنا للعديد من معاهد إعداد الطهاة في باريس، وهو ما جعلكم في مقدمة من اخترناه لذلك.

برنارد: نشكركم على ذلك، ولكن بصراحة العرض المالي لا يلبي الطموح الذي نتوقعه.

المدير: كل شيء قابل للتفاوض، ولكن بمقابل

فرانسوا: ما المقابل الذي تعنيه؟

المدير: نحن في سلسلة فنادق رينيسانس، نتعرض لمنافسه من قبل باقي الفنادق فيما تقدمه من خدمات، كما إن تنافسا يتم مع مدراء فنادق الرينيسانس، فيمن ينمي مصادر الأرباح، وأنا كمدير للفندق وجدت أن المطبخ مركز ربحي كبير لو تم تعهده بالشـــكل المنافس، خاصـــة أن باريس لا تخلو يوميا من مؤتمرات ومنتديات واحتفالات، فنحن نرغب باستهداف هؤلاء بعروض مبهجة يجعلنا متقدمين على منافسينا.

فرانســـوا: من هذه الزاوية اطمئن، فأنا على علم بما تقدمه مطابخ معظم الفنادق المحيطة بنا، عبر زيارات عديدة ورفاق لي في كل مطبخ من مطابخهم، وإن أردت أن أريك لائحة طعام ما يعرض الليلة في فندق الهيلتون عبر مناسبة يجتمع فيها رجال أعمال عرب والشرق الأوسط سأبلغك.

المدير: مندهشا،

كما افتخر برنارد بالاستعراض الذي أفاد به فرانسوا

المدير: ما الذي يجول بخاطركم حيال العرض المالي؟

برنارد: زيادة خمسون بالمئة على العرض المقدم.

فرانسوا ينظر لبرنارد وفي نفسه ما ينم عن فقدان الفرصة، فاذا بالمدير يقول

المدير: موافق على أن يبدأ بالعمل مع بداية الشهر القادم، أي أمامكما فقط خمس عشر يوما للتجهيز لاستلام تشغيل المطعم في روف الفندق، وهو لشريحة رجال الاعمال والشخصيات المهمة.

برنارد وفرانسوا: تم

بدا للصـــديقين أن يقســـما المهام فيما بينهما، ليبدأ فرانســـوا بالتحضـــيرات اللازمة لمطعم الروف في الفندق، ويبدأ برنارد بمقابلة من يصـــــلح للاعتماد عليه في إدارة معهد إعداد الطهاة ممن تم تدريبهم خلال أكثر من عام مضى.

وعلى ضوء ذلك كتب فرانسوا في مذكرته:

تأملتُ..(التعهد)، الذي ينبري له المزارع نحو (النبتة)، إذ يتعهدها بالماء والحماية من الآفات، ويقومها عبر الاخشاب، فإن أهملها بعد أن غرسها، فستتعرض بلا شك لما لا يحمد عقباه من إبادة، وهكذا مع ما يمكن أن تصفه (بالإنجاز)، حيث وبعد أن نال منك الوقت والمال، وربما مازجه مديد من الهّم ، وبذل ما بحوزتك من أسـاب، فلا يحسـن إلا أن تتعهده بالحماية، فلا تسـمح لما قد يزينه الشـيطان لك بأنك قد (أنجزت)، بل ثق أنك لم تحقق ما يسـتحق أن تطلق عليه إنجازاً ما لم تتعهده بالرعاية، (فإن كان ثمة تعهّد قَبلي فهناك تعهّد بَعدي) ، ومن معززات رعايته أن تحفظ الله ﷻ كي يحفظه لك، وإتلو إن شـئت ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا..﴾ (فتعهد إنجازك).

وفي اليوم الأول من استلام مهام مطعم الروف، تفقد فرانسوا مهارات الطباخين، وأسلوب العمل في الإدارة السابقة، وقام بإعادة تقسيم المهام والمسؤوليات، بل ربما بدأ بعملية فصل بعض الطباخين واستبدالهم بمن تم تدريبهم لديه في المعهد، وهو ما يعزز لنظام منسـجم فيما بين الجميع، وبدأ التشـغيل الفعلي لتجهيز الاطباق وفق لائحة الطعام المقرة في المطعم، وصارت عمليات التخديم على النزلاء بشكل سلس، ودون أي تأخير، لاحظ فرانسوا أن الموائد بدأت تكتظ بالحجوزات بشكل مسبق خلال الشهر الأول من التشغيل، كما لاحظ أمرا اسـترعى انتباهه أثناء عمليات التخديم، عبر تنوع الخبرات والنقاشـات التي يتداولها الزبائن مع كل مائدة، واعتبر ذلك كما لو كان جامعة أو مؤسسة تعليمية تقدم خبراتها مجانا لمن يتابع ما يجرى من حوارات يومية عبر كل مائدة، حيث بعضـها يستمر على مدى أيام والآخر في كل أسبوع مره، حوارات في مجالات عدة، في السياسة والاقتصاد والتجارة والاجتماع وغيرها لا حصر لها من العلوم والفنون، فقرر أن ينبه من يخدم في تقديم الوجبات أن يتعرف على نوع النقاش مع كل مائدة، كي يختار هو من طرفه أن يرحب بالضـيوف بحجة تعريفهم بما تتفرد به كل وجبة من وجبات الطعام التي اختاروها، وفي نفس الوقت يروج لوجبات يدعوهم لتذوقها في لقائهم التالي حين الزيارة، وهو ما سـمح مع الوقت لتعزيز علاقة فيما بين رواد بعض الموائد دون سواها، وهو ما جعل بعض أفراد الفريق الزائر يطلب بشكل شخصي خدمات خاصة من فرانسـوا لتلبيتها في منزلهم حين يدعو لولائم ليشـرف في التحضـير لها فرانسـوا بنفسـه، وهو ما رحب به فرانسوا.

وقد ذكر في مذكرته، أنه ثمة عروض كانت تأتيني من دول شتى للمشاركة في المعارض الغذائية ومسابقات الطهي، غير أنني كنت ألبي منها ما له علاقة بالحلال كصـناعة أضـحت حتى العلامات التجارية الامريكية والأوروبية تعتمدها بسبب سعة الشريحة المستهدفة من المسلمين، وحصـل أن لبيت دعوة وجهت لي من إسطانبول، فكتبت إثر زيارتي للمعرض الغذائي:

تأملـتُ.. فـي طبيعـة الشـعوب، فوجـدتُ أن (للـرزق وسـعته) عنصـر وعلاقـة فـي ذلـك، فقـد دُعيـت لحضـور مـؤتمر لصـناعة الحـلال فـي إسـتانبول، وقـد اجبـت الـدعوة لعلاقـة موضـوع المـؤتمر بالتسـويق الحـلال، وبينمـا انـا فـي معـرض منتجـات الحـلال، حيـث تتباهـا الشـركات التركيـة بمـا لـديها مـن علامـات تجاريـة مسـتوفية لشـروط الحـلال، فمـا بـين مستحضـرات التجميـل الـى الأطعمـة الـى صـناعات البلاسـتيك وغيرهـا كثيـر، فـاذا بـي أجـد نفسـي أمـام مـن يـروج للشـاورما، فقـررت أن اسـتطعمها، فـاذا بمجموعـة مـن السـيدات المرتـديات للعبـاءات السـوداء، مـنهن مـن انشـغل فـي لـف الارغفـة للزبـائن ومـنهن مـن تباشـر الزبـائن بالتوجـه

نحو موائد الطعام ومنهن من يحاسبن واخريات ينظفن، خلية متكاملة من البائعات ذات الاوشحة السوداء لا يقر لهن قرار في نشاط مستمر، وأخال أن من يباشر عملية طبخ عمود الشاورما كبير عائلتهم ، نشاط كهذا يستحيل أن تجده في دول الخليج، نشاط كهذا جالبٌ للرزق والبركة، رزق أُنتُزِع من جهد وعرق، له مذاقه الخاص والمختلف عن ذلك الذي ينفقه ابنائنا الخليجيون قاصدين شراء مأكولات للماركات التجارية الامريكية والاوروبية، ذلك هو الاختلاف في طعم الحياة، الجالب للرزق مقابل طعم مبدد له.

مائدة الدبلوماسيين:

في تفقده للزبائن المميزين في المطعم، استهدف فرانسوا مائدة الدبلوماسيين، فبادرهم التحية كشيف للمطعم، متطلعا لمعرفة آرائهم حيال ما تم تقديمه من أصناف طعام، فباره أحدهم بالسؤال عن حساء البصل الفرنسي، ، فقال معرفا ببعض الاطباق الفرنسية وفق طلبات الدبلوماسيين، فقال تعتمد الأطعمة الفرنسية التقليدية على تركيبات بسيطة والتي تُعزز النكهات الطبيعية الغنية للمكونات الفرنسية مع تجربة مختلف أنواع الجبن، ففرنسا تشتهر ببعض أفضل أنواع الجبن في العالم. ويمكنكم طلب طبق من مختلف أنواع الأجبان، والذي غالبًا ما تُقدم في فرنسا بعد الطبق الرئيسي وقبل التحلية، وبخصوص حساء البصل الفرنسي
فيتم صنع هذا الحساء الفرنسي التقليدي من البصل ومرقة اللحم، ويُقدم عادة مع الخبز المحمص والجبن الذائب على قمته. ويرجع أصل هذا الحساء إلى الرومان، ويرجع أصل النسخة الحالية من هذا الحساء إلى القرن الثامن عشر، ويأتي المذاق الرائع في هذا الحساء من البصل المُشوح والمُكرمل والذي يتم طهوه ببطء، وعادةً ما يتم إضافة مرق اللحم أو الماء، ويتم إضافة الحليب أو البيض أو الطحين لجعل قوام الحساء كثيف.

قاطع أحد الدبلوماسيين بالسؤال عن طعام البورغيغون، عما يكون! ، فأجاب فرانسوا قائلا:

أما طبق لحم البقر بالبورغيغون

وهو طبق فرنسي تقليدي كان قد أشتهر عالميًا، ويرجع أصله إلى شرق فرنسا ويشبه إلى حد كبير طبق Coq au vin.والطبق عبارة عن حساء مصنوع من لحم البقر المطهو ببطء في عصير العنب ومرق اللحم

ويتم تتبيله بالثوم، البصل الصغير، الأعشاب الطازجة والمشروم. ويستغرق إعداد اللحم باستخدام هذه الطريقة التقليدية حوالي يومين لتكثيف النكهة في الحساء.

ثم حياهم وتمنى لهم أن يسعدوا بالطعام، ثم التفت للمائدة البعيدة في زاوية المطعم والمطلة على شرفة نحو البحر، وحيا زبائن المائدة، وقد تم تصنيف روادها من قبل النادل الذي بعثه ليتعرف على نمط حواراتهم، بأنهم في مجال تجارة العقار، فبادرهم بالتحية الإيطالية وبدأ بشرح ما تحتويه الأطعمة الإيطالية التي طلبوها، فقال، معكم الشيف فرانسوا، هل تعرفون كيف يتم التحضير لطبق أرانشينيArancini ?

أرانشيني طبق عبارة عن كرات الأرز المحشوة، ويتم قلي هذه الكرات بعد أن تغلف بالبقسماط الناعم.
عادة ما تملأ كرات الأرز هذه بصلصة الطماطم أو صلصة الطماطم مع الجبن الموزاريلا و البازلاء.
تختلف الحشوة والشكل لهذه الوصفة تبعاً للموقع الذي يُعد فيه هذا الطبق،
فمثلا Arancini con ragu :هو عبارة عن أرز، صلصة الطماطم، وجبن الموزاريلا(، Arancini con porri(هو يكون مصنوع من صلصة البشاميل الدسمة)، و أيضاArancini con funghi ، و Arancini con melanzane.

أما طبق ريزوتوRisotto

فمن أحد المكونات المشهورة في الأطباق الإيطالية هو الأرز، ومن المعروف بشكل كبير جداً أن "الريزوتو" هو طبق المقبلات الأكثر شعبية في الأطعمة الإيطالية، وهذا الطبق يتكون عن طريق خلط الأرز مع المرقة، الخضروات، والتوابل، ويمكن أن تكون المرقة هي (مرقة لحوم، أسماك، أو خضروات)، بالإضافة إلى الجبن البارميزان، الزبدة، و البصل.

قاطع حديث الشيف فرانسوا أحد التجار قائلا، ممكن رقم جوالك تكرما؟

فرانسوا: بكل سرور، فهذه بطاقتي واتصل بي متى ما شئت.

بادله التاجر ببطاقة خاصة به، وحيا الجميع الشيف فرانسوا وتمنى لهم ليلة بمذاقات ممتعة.

في ذات الأسبوع يتلقى فرانسوا دعوة من مجموعة الدبلوماسيين لأعداد وليمة لهم في أحد منازل أعضاء المجموعة، هنا نقطة تحول عظيمة يجد فيها فرانسوا نفسه، يتأمل في المسار الجديد والافق الجديد الذي انفتح أمامه، فهو الآن قريب من متخذي القرار السياسي، كما إنه قريب من أصحاب رؤوس الأموال، ترى كيف يمكن تطويع هاتين القمتين لصالح المجتمع، أو ربما لصالحه تجاريا عبر تعظيم شبكة علاقاته التجارية، فهو سيتمكن من إنشاء إمبراطورية عظيمة تجاريا عبر تلك العلاقات إن أحسن التشبيك.

استعرض الامر مع شريكه برنارد، وظلا على مدى أيام يناقشان الفرص، ويستعرضان المخاوف، إلى أن رست حواراتهما بما يعزز لمفهوم جديد، الجميع يكون فيه الرابح، بما فيهم المجتمع والدولة، عبر فكرة يستفيد من خلالها أعضاء المجموعتين لذاتهم كمسؤولين، ويستفيد منها فرانسوا وبرنارد تجاريا، ويستفيد منها كافة شرائح المجتمع، حيث كان من ضمن ما قرراه أن يرشح لمجموعة الدبلوماسيين الشيف برنارد بديلا عنه، ليتمكنا من الاحسان في الأداء وتبادل المعلومات، كما أصبح فيما بعد يجلب فرانسوا معه طاه من

المعهد كي لا ينشـغل هو عن مجموعة الحوار، فبمجرد إشـراف بسـيط من طرفه على مسـاعده، يشـعر بأن الأمور تمضي وفق إشارته وأسلوب طهيه، وهو ما جعل مجاميع الحوار أكثر ثقة بأدائه وحسن إدارته.

وقد إجتهدا الشريكين فرنسوا وبرنارد في التأمين لسمعة دولية، فكان من ضمن الخطة التي اعتمداها، حصد الجوائز الدولية عبر دخولهما في منافســـات في جوائز الطهي، وهو ما جعل العديد من العروض التي ترد لشـركتهما من فنادق عالمية ومطاعم ذات المسـتوى الرفيع تهوي إليه ناشـدة التعاقد، بل أضـحيا محكمين دوليين معتمدين في جوائز اختيار الطهاة المهرة والمحترفين، غير أن فرانسـوا لم يكن يلتفت كثيرا للجوائز، راغبا في المساحة الجديدة التي آل اليها مع مجاميع العمل التي أضحت كل حياته، فشغلته عن أن يفكر حتى بالزواج، بالرغم من بلوغه سن الثلاثين، ومع تألقه الذي أحرزه، أصـبح بعض أعضـاء المجاميع التي يعمل معهم يعرضـــون عليه الزواج من بناتهم، وهو ما جعله أمام عروض من نوع جديد، بل وفرص واعدة عبر آفاق غير مسبوقه من العلاقات في المجالات السياسية والاجتماعية التي أصبح فيها.

اتفق فراسـوا مع برنارد التأسـيس لشـركة يقوم عملها على تقديم خدمات الطهي بالتعاون مع المحترفين من الطهاة الذين يتم اعدادهم في المعهد، باذلا كل الأســـباب التي تجعله قادرا على إتمام مهمته بنجاح مع المجموعتين، فكتب:

تأملتُ.. في مسألة بذل (الاسباب)، فإلى أي مدى نبذل الاسباب ومتى نتوقف عن بذل السبب؟ ذلك أن المزيد من الاسباب قد يؤدي الى شبه برمجة تلقائيه للنفس في الاعتقاد بأنها هي مفتاح الانجاز، ذلك أن (فأتبع سببا) هل تعتبر قاعدة تلزمنا بإتباع السبب تلو السبب مع كل محاولة تبوء بالفشل؟ ضمن جولتي مع بعض المشايخ لم اقتنع بإجاباتهم حيال مدى بذل الاسـباب، على الرغم من صـحة افاداتهم ، غير أن الذي كان ينقص إفاداتهم هو أن يذكروا لي كلمة إضـــافية واحدة وهي (الوســع) ذلك أن بذل الوســع يســتوجب تكرار المحاولات تلو المحاولات لحين التأكد من أن جميع الابواب موصـــده كي يتم التحول لمهمة أخرى ، كما انها تعني التوقف الفوري مع اول سـبب تبذله حال كانت ادواتك وامكاناتك لا تسـتوعب المزيد، وعليه فان المسـتغني مالياً بذل السبب لديه يستوجب دفع مبلغ لإجراء دراسات جدوى ودراسات مسحيه للسوق قبل ان يبدأ بمشروعه، بينما الاخر، فقد يكون وسعه ان يضع بضاعته في الشارع كي يلتقطها الناس دون حاجه للترويج او الاعلان.
في هذه اللحظة فقط، تمكنت من تأمين شـــباكي على مائدتين متميزتين، مائدة الدبلوماســـيين ومائدة التجار، وهو ما أعتبره فرصـــة لنقطة تحول في حياتي، كإنســـان متطلع للتغيير، التغيير المجتمعي الذي أطمح اليه، فأنا لم أتلقى تعليمي الجامعي كباقي زملائي، في حين لم أجد أحدا من زملائي يشـاركني هم المجتمع الغربي والمسـلمين في الغرب والتحولات التي يتعرض اليها، وهو ما عجز عنه الجامعيون، فشـغلتهم أسـباب تأمين الرزق والوظائف ذات المردود المادي المسـتقر، حتى وإن كان قليلا، عن قضـايا المجتمعات التي يعيشـون بها.

يدعو برنارد فرانســوا لمناقشــة فكرة تدشــين شــركة لتقديم خدمات إدارة مطاعم الفنادق، عبر الإعلان عن فرص للعمل عبر المعهد الذي يمتلكانه، فيوافق الشريكان على ذلك، وينبرى برنارد للعمل الاجرائي الخاص بذلك، ليتكفل فرانسوا بإدارة المطعم في فينيسيا.

وفي أحد أيام العطل الأسبوعية يتلقى فرانسوا اتصالا من أحد أعضاء مائدة التجار، طالبا منه إستلام مهمة التخديم والأعداد لطعام سيقيمه في منزله، يسعد فرانسوا لتلبية المهمة، والتي ستجعله قريبا من مجموعة التجار، وكي يتعرف على مجال ليس ضمن خبراته، ويحين اليوم، ويكون فرانسوا قد تجهز بما يلزم من الاطعمة الغذائية والحوم والأسماك، برفقة فريق من إثنين من الطباخين من معهده الذي هو في باريس، لقد كانت فرصة عظيمة للطلبة عبر مشاركتهم بهكذا مناسبة مدفوعة ثمن الطائرة والإقامة إضافة لمكافئة عن يوم عمل،

أذكر أنني قد تفننت في التحضير لأطباق مازجت فيها فيما بين الثقافات الفرنسية والإيطالية والتركية، وهو ما جعل الحضور منبهرين ومثمنين الفرصة التي جمعهم فيها صاحبهم التاجر ماريو، ووعدوا بأن يعاودوا تكرار التجربة مع ذات الشيف فرانسوا في اجتماعاتهم القادمة، على أن تكون دورية فيما بين جميع الأعضاء، حضر في تلك الليلة خمس عشر تاجرا، وهو ما يعني تعزيز العلاقة خلال خمس عشر وليمة مع كل منهم.

تمكنت من حفظ أسماء جميع أفراد المجموعة، كما تعرفت على ميولهم حيال ما يتناولونه من أطعمة، وأذكر في الوليمة التالية والتي صارت في منزل التاجر (أدريانو)، أن سألني عن موضوع الأعشاب، وهل ثمة ما يشبه القانون في استعمالنا لها في الطهي، فقلت له:

نحن في الطهي نستخدم الأعشاب بأنواعها ذلك أنه يمكن إضافة الأعشاب لأي وصفة بما في ذلك:

الشوربة - الخبز - الخردل - الزبدة - الصلصات - السلطات - الخل - الحلويات - المشروبات وأشياء أخرى.

أما ما تعارف عليه الناس حيال مزيج الأعشاب والأطعمة سنجد مثلا:

الريحان: صلصة و عصير وحساء الطماطم، أطباق البطاطا ، الجمبري واللحوم والدجاج والطيور ، والمعكرونة والأرز وأطباق البيض.

الفلفل: اللحوم والدجاج والدواجن، المحار وأطباق الطماطم والكاري.

الثوم: السلطات والدجاج والشوربة وأطباق الجبن وأطباق البيض والمايونيز و الصلصات.

الكزبرة: الأطباق الآسيوية والبطاطا والسلطات والمأكولات البحرية والحبوب.

الشمر: الصلات والمأكولات البحرية.

الزنجبيل: الكعك والبسكويت والأطباق الآسيوية.

الليمون: الأطباق الآسيوية والمأكولات البحرية والشوربات والشاي.

النعناع: المشروبات واللحوم والدجاج والألبان والصلصات وأطباق الخضار.

البردقوش: اللحوم والأسماك وأطباق البيض وأطباق الجبن والبيتزا.

النعناع: المشروبات والحلويات واللحوم والدجاج واللبن والصلصات وأطباق الخضار.

توابل: أطباق الجبن وأطباق البيض وصلصة الطماطم والبيتزا واللحوم والخبز والمعكرونة

البقدونس: أطباق البيض، والمعكرونة، وأطباق الأرز، والسلطة، والزبدة، والصلصات، والمأكولات البحرية والأطباق النباتية.

روزماري: الأسماك والدواجن واللحوم والخبز، والصلصات والحساء .

الطرخون: السلطات واطباق البيض.

الزعتر: الخبز والدجاج والدواجن والحساء والزبدة والجبن والمايونيز والخردل والخل.

والطبخ بالأعشاب الطازجة أفضل من المجففة حيث تعتبر ملعقة واحدة من الأعشاب الطازجة تساوي 4 ملاعق من مثيلاتها المجففة.

ومن الأفضل عند استخدام الأعشاب مع الطبخ لفها بالشاش على شكل كيس حيث تعطي طعما أفضل للطعام.

وتتميز بعض الأعشاب مثل البقدونس وإكليل الجبل أنها تستطيع الحفاظ على طعمها لذا يمكن إضافتها بداية الطهي.

وبالنسبة للأعشاب المجففة فإنها تفقد طعمها بعد 12 شهرا لذا يفضل رميها بعد ذلك.

ماريو: أعتقد أن المسائل التجارية التي قطعنا فيها شوطا واستعرضنا فيها الفرص، تحتاج لمن يوثقها عبر محاضر لاجتماعاتنا، ويتابع الأعضاء بالتزاماتهم، ويقدم لنا تقريرا دوريا مع كل اجتماع لنا عما حققه مع كل عضو، فما رأيكم؟

أدريانو: معك حق، وحيث أن جميعنا مشغول ولا يرغب أي منا بإزعاجات المتابعة، فأنا أرشح السيد فرانسوا القيام بذلك، بمقابل مالي نقترحه له، هل من مقترح بديل؟

بدأ قلب فرانسوا يدق كالطبل، فهو لم يتوقع ذلك منهم، كما إنه لم يتحمل مزيج المشاعر التي انتابته، مشاعر فرح مع خوف بخذلانهم حال فشل بالمهمة الجديدة والتي لم تكن ضمن مهاراته، التزم الصمت محاولا تهدئة ضربات قلبه التي كان يحاول إسكاتها، فكان القرار من الجميع باعتماده سكرتيرا للمجموعة.

بدأ يلبي فرانسوا الدعوات التي ترد اليه من الزبائن الهامين في أوقات العطل الأسبوعية، ما جعله نزيلا دائما ، وقد تطور الامر، مع بعض المجاميع، ويذكر ذلك فرانسوا في مذكراته حين بحث الامر مع برنارد بما يجعلهما في النهاية يطوعان علاقاتهما بما يكون له مردودا على المجتمع الإيطالي، عبر أعضاء البلديات ومجالس البرلمان ومستشاري الحكومة، وهو ما جعل برنارد يوافق بعد أن عين من طرفه مديرا عاما على المعهد ليتابع إدارته مع بعض الطلبة المتخرجين والذين تم تعيينهم كمساعدين للشيف.

وبحكم علاقتنا بمدير الفندق الذي ندير فيه مطاعمه، اقترحنا أن يكون مقر شركة الخدمات الخاصة بالمطاعم في أحد أجنحة الفندق وفق تسعيرة خاصة بنا، وهو ما وافق عليه المدير العام الخاص بالفندق على الفور، لما لذلك من تعزيز لوجود الاخوين فرانسوا وبرنارد معهما بشكل مستدام، مع توفر كافة عمليات الاسناد بشكل مباشر وسريع حال الحاجة.

في أحدى ليالي فينيسيا الممطرة، بدا لي أن أذهب للمطعم، لمعرفتي المسبقة بقلة عدد الوافدين بسبب الأجواء الممطرة، فكلفت أحد النادلين بحجز الطاولة في شرفة المطعم والمطلة على القناة المائية، للاجتماع ببرنارد لمناقشة أمر استثمار علاقاتنا مع المجموعتين، فكان الحوار التالي:

فرانسوا: فينيسا ليست كباقي إيطاليا، فهي مدينة سياحية، يكثر فيها السياح على مدار العام، فقضاياها المجتمعية تختلف عن قضايا مدينة كنابولي أو روما أو حتى صقلية، نحن هنا لسنا بصدد القضايا السياسية بل المجتمعية، فلو تمكنا من التأسيس لمؤسسة غير هادفة للربح يكون عملها إجراء الاستفتاءات للتعرف على ما يشغل الناس من هموم مجتمعية، أو ما يعرض المجتمع الإيطالي للخراب، وكما تعلم على سبيل المثال انتشار آفة المخدرات، وكذلك التفكك الذي أصبح ينخر بالعائلة، وقضايا أخرى في المجتمع كالغش ،وشرب الكحوليات، وما يترتب على ذلك من عدم احترام قوانين المرور، أو التعرض للمارة في الشوارع.

برنارد: إذا نبدأ، باستكمال عناصر المشروع، لندعو مجموعتي التجار ثم الدبلوماسيين لرعاية الحملات التي تروق لهم، فهذا المجهود سيروق لهم، خاصة حين يرشحون أنفسهم لمناصب البلديات أو البرلمان، فالشارع الايطالي يحتاج لمن يشعر بهمومه.

فرانسوا: رأي سديد، من طرفي سأعمل الترتيبات اللازمة حيال متطلبات المشروع، وسأدعوك حين الجاهزيته لاستعراض آلية التحرك.

برنارد: حسنا، وأنا من طرفي سأهيئ مجموعة الدبلوماسيين لذلك من الناحية النفسية لأتعرف على الانطباع الاولي حيال الرغبة من عدمها.

مضت الأيام، وأنا في مطبخي مع المساعدين والطباخين ولا يوجد في عقلي ومخيلتي سوى المشروع المجتمعي هذا، حتى أن البعض لاحظ شتات ذهني، فبدأ يستفسر عن السبب، فلعله يفكر بالزواج، أو ارتبط بحبيبه!

ومكثت مطولا في مكتبي في الغرفة الفندقية أكتب واتصل بالمؤسسات من حولي، واستعرض البيانات عبر الانترنت حيال الاحصائيات الخاصة بالمجتمع الإيطالي، وبيانات وزارة التخطيط، والصحة، والتعليم والشؤون، والطرق، والداخلية حيال مشاكل الطرق والجرائم وهكذا، لحين أدركت أنني أمام مركز معلومات لا يستهان به يدفع قدما لإطلاق مشروعنا المجتمعي الواعد.

وكان أمامي مساران لتدشين المشروع، الأول عبر تعيين مجموعة من الخبراء لإدارة كل قضية مجتمعية والتعرف على ما نحققه أولا بأول على النتائج عبر مسوح ميدانية ، والمسار الثاني وهو الايسر، بأن نستعين بشركة علاقات عامة وإعلان لإنجاز كل حملة توعوية مجتمعية على حدى، وقد وقع الاختيار على المسار

الثاني، ومنه في المستقبل، حين نتعرف عن قرب على آلية التنفيذ عبر ما ستقوم به شركة الإعلان ، نعين من طرفنا من يقوم بالإدارة والتخطيط والاشراف والتنفيذ.

تم اختيار مجموعة من شـــركات الإعلان والعلاقات العامة للتعرف على قدراتهم وامكاناتهم في ذلك، ثم تم اختيار واحدة منها للعمل على تخطيط الحملة التوعوية وتنفيذها كنموذج وفق جدول زمني ومراقبة للأثر عبر الشـــرائح المجتمعية التي نســـتهدفها، ومع معرفة حجم الميزانية المطلوبة، تم أخذ موعد لاســـتعراض المشروع وآفاقه للمجموعة التجارية، فكان ما يلي في النقاش:

التاجر أنتونيو: مشروع واعد، ومهم، ولكن على أي أساس تم اختيار قضية السرعة في قيادة السيارات؟

فرانسوا: إن البيانات الإحصائية التي وقعنا عليها عبر وزارة الصحة والداخلية تبين أن معظم حالات الوفاة وكسور العظام ناتجة عن السرعة في القيادة وعدم الامتثال لقوانين المرور، وهو ما يستنزف حجم كبير من ميزانية الدولة في المستشفيات، فلو تم رعاية هذه الحملة التوعوية من أحدكم، فنذكر اسم الشركة الراعية أو صورة لشخصكم في الحملة، سيكون ثمة تقدير مجتمعي لما تقومون به عبر المحافظة على أرواح الشباب من جهة وكذلك المحافظة على ميزانية الدولة من الاستنزاف.

التاجرألفونسو: كم يبلغ حجم الرعاية ؟

فرانسوا: مدى الحملة شهرين فقط، وتكلفتها ما يعادل 150 الف دولار

التاجرالفونسو: اعتمدني راع لها، وسوف أبلغك عن برنامجي للترشيح لمقعد غرفة التجارة كي يتزامن ذلك مع البرنامج.

التاجر أدريانو :هل من قضايا مجتمعية أخرى؟

هنا إنفتحت شـــهية مجموعة التجار العقارية، وأصـــبح المشـــروع بحكم المنجز، وعلى ضـــوء ذلك، قررت المجموعة العقارية تبني التمويل لمجموعة من قضايا المشروع التوعوي مع كل موسم جديد.

تأمل فرانسوا في كيف صار أمر الشيف الطاهي، بما سيكون له بصمة مجتمعية في التغيير، من قال أن التغير منحصرا عبر شهادة أو منصب، أو مال وفير أو حتى رئيس دولة، فالجميع من الممكن أن يكون له بصـــمة ودور في التغيير والتهذيب، فقط الذي نحتاجه هو الهم المجتمعي، والعقل والتدبير الســـليم في النهج الذي ستختاره عبر ما هو متاح من إمكانات وأدوات.

في اليوم التالي تلقيت اتصالا من والدي يعرض على أمر الزواج من ابنة عمي البوسنية، فلم أتردد بالرفض بحكم نمط حياتي الذي ســـيتعارض مع نمط حياتها، والغريب أنه في ذات اليوم يردني اتصـــالا من التاجر أدريانو يعرض علي مسألة الزواج من ابنته! وهو ما جعلني حائرا أمام العرض، فأنا أصبحت بين خيارين للزواج، مسلمة وأخرى نصرانية، فأيها أختار؟

راجعت برنارد بالامر، فقال إن كان ثمة ميزة مع النصـــرانية فهو عبر الاب من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون ثمة أمل في إسلامها، هنا تكون قد حققت الميزتين.

هنا راجعت الامر، فقررت أن أتصل بصاحبي التاجر، لطلب الحوار مع ابنته معتذرا بأنها قد ترفض الزواج مني لأني لن أكون فارس أحلامها.

قبل موعد اللقاء بإسبوع ساورني الشعور بأن أستعد للقاء بإبنة أدريانو عبر شراء بدلة جديدة وعطر جديد وبعض مستلزمات المظهر الجذاب، فآثرت عدم القيام بذلك، ذلك أن المفاضلة بين إمرأتين، يستوجب مثول عادل بينهما، وكي أجعل القلب هو من يقرر لا الجسد وحده.

وكان يوم اللقاء، فإذا بي أمام منزل أدريانو ، ومع أول لمســـه لجرس الباب ، فإذا بي أمام هبة هواء يطير على إثرها شـــيء من قماش ثوب امرأة تفتح لي الباب، ثوب أبيض جمع من رسـم الورود اللونين الأصـفر والاحمر، لفتاة بقامة رفيعة وتتمتع بنظرات حادة، ويبدوا عليها ملامح الجد والمهارات الإدارية، قادتني نحو صـالة الاستقبال، مرحبة بي، مع شـيء من الاطراء حيال ما كانت تسـمعه من أبيها عن إحترافي في إعداد موائد طعام الشرائح المخملية من المجتمع الإيطالي.

جازت لي كانطباع أولي، فأخذنا الحديث بعد التعرف لمسارات عديده وأذكر أنني سألتها:

فرانسوا: كم تبلغين من العمر يا البيرتا ؟

لم تجبني وقالت أنا أصغر عنك بثلاث سنوات.

أعجبتني إجابتها التي تنم عن ذكاء

فرانسوا: أنا أعمل شيف للطهاة في فندق فينيسيا، هل هذا يعزز لحلم كنتي تنتظرينه؟

البيرتا: ليست المهنة ما كنت أنتظر، وإنما لفارس، قادر على أن يحقق حلمي.

فرانسوا: وما هو حلمك؟

البيرتا: أن أكون قيمة مضـافة في مجتمعي، فأنا أتمتع بمهارات عديده تمكنني من ذلك، ولكن حتى اللحظة لم أجد فرصة لاغتنمها.

أعجبت بردها، فهي تمكنت بغرس سهم في قلبي، إذ كنت أتوقع أن زواجي سيحول دون تحقيق ما كنت أحلم به أنا أيضا فإذا بها تعزز انسجاما مع ما أنا بصدده أيضا.

فرانسوا: كيف ترين أمر الزواج إن التحقت بزوج؟

البيرتا: في المنزل، حفظا ورعاية لأطفالي، وفي مؤازرة الزوج تعزيزا للعلاقة بما لا يجعله يرى ســـواي، وفي العمل، سـأنتقي ما ينسـجم وعمل زوجي، فأنا مرنة ولي قدرة على الانسـجام مع الآخرين حتى لو كانوا ضد ما أعتقد.

جوابها هذا أنهى الجولة بضــربة قاضــية، بفوز البيرتا علي، فقلت، هل نحدد لقاء آخر نســتعرض فيه قائمة طموحاتك وما لدي من قائمة، لنستبين عدد الفرص التي نلتقي بها ونفترق؟

البيرتا: بكل سرور إن رغبت أن يكون في منزلنا

فرانسوا: بشرط أن تذوقيني طعاما من يديك

البيرتا: بشرط الا تجاملني برأيك فيما سأطبخ

أعجبني مسار الثقة التي تتمتع به، وحددنا يوم إجازة الأسبوع القادم للقاء

حرت في أمر البيرتا، فهل ســـتقبل تغيير دينها إن طلبت منها ذلك؟ لعلي أطلب منها ذلك من أجل أن أنهي حيرتي، فإن رفضت يكون لي مبررا بعدم الزواج منها.

وترقبت نهاية الأسبوع بفارق الصبر لأنهي ما أنا فيه من حيرة، وربما شعرت بشيء من الضياع، فإذا بي أمام منزل والدها ضاغطا على الجرس، فإذا برائحة عطرية فواحه، تمخر عبعب جسدي فتتملك مشاعرى، وإذا بها وهي ترتدي و يا لروعة زي الفســـتان الذي أحاط بجســـدها، بياض تتخلله قطع كما لو كانت من أحجار كريمه، تفوح منها عطرا أظنه لعلامة برادا الايطالية، والابتسامة التي استقبلتني بها فطبعت في قلبي.

البيرتا: يا له من يوم سعيد، تفضل شيف فرانسوا

لقد قالت شيف، وهو ما يجعل مسافة فيما بيني وبينها، مسافة راقتلي من أجل استئناف الحديث معها بشوق.

فرانسوا: أين أبيك أدريانو؟

البيرتا: ستكون معنا ماما لحين وصول بابا، سيصل بعد قليل

البيرتا: هذه ماما، أنا ماريا، وهي من فلورنسا.

أنا ماريا: مرحبا بالشيف العظيم، لطالما حدثني ادريانو عنك

فرانسوا: شكرا لك أرجو أن أكون كما ذكر

البيرتا: هل وجدت صعوبة بالوصل للمنزل؟

فرانسوا: أبدا، فمثل موقع منزلكم لا يخفى على أحد

أنا ماريا: خبرني يا شيف فرانسوا، من أين جاء اسم خبزنا المعروف باسم فوكاتشيا؟

فرانسوا:

فوكاتشيا هو نوع من أنواع الخبز الأكثر شعبية في إيطاليا، واسمه مشتق من المصطلح اللاتيني "بانيس فوكاسيوس"، و هذا الاسم يعني "الخبز المسطح المخبوز على الموقد."
يتم تحضير هذا الخبز عن طريق (مزج دقيق القمح الناعم والخشن، الخميرة، الماء، الملح، و زيت الزيتون عالي الجودة)، والمطبخ الإيطالي متأثرا بعدة مطابخ أخرى من أبرزها المطبخ العربي، المطبخ اليوناني والمطبخ التركي، كما اشتهر بتقديم "البيتزا" و"الباستا" ، وما يميز "البيتزا" الإيطالية هو رقة العجينة. كما يتميز أيضا بالصلصة المبنية على أساس اللحوم أو الخضراوات، ومشتقات الحليب والريحان، علاوة على شهرته بالبوظة المبنية على أساس "الشمينت" أو الحليب، وما يميز المطبخ الإيطالي أيضا عن سواه هو أنه سهل وغير معقد في طريقة الطهي، وفي المطبخ الإيطالي يستعمل كثيرا زيت الزيتون وجبنة "البارمزان" والطماطم.
أنا ماريا: روعة، كيف نعزز للنكهة في هذا الخبز

فرانسوا: النكهة الجميلة يتم تعزيزها عبر عجن عجينة الخبز ب (أعشاب، ثوم، طماطم، و ريحان).
البيرتا: دعينا ماما عن قضايا المطبخ، لقد جاء فرانسوا اليوم يريد أن يستريح قليلا من الطبخ، لذا شرط علي أن أذيقه بما أطهيه بيدي.
فرانسوا: حسنا وما الذي طبختيه لنا اليوم؟
البيرتا: دعه مفاجئة
فرانسوا: أذكر أنك حدثتني بطموحك حيال دور مجتمعي تقومين به، فهل هو ذو طبيعة سياسية أم مجتمعية؟
البيرتا: أنا لا أحب السياسة، فبلا شك سيكون مجتمعيا.
فرانسوا: هل تعرفين حجم معاناة المجتمع الإيطالي من جرائم الغش وعدم أمانة التاجر؟
ألبيرتا: لا أعرف شيء عن هذا سوا أن إيطاليا تنعم بسمعة جيدة دوليا بمنتجاتها التجارية وبالأخص تصاميم الملابس، وما علامات أرماني وبنيتون وغوشي وبرادا وغيرها الا مثالا عن ذلك.
فرانسوا: هذه الصورة التي ترينها كامرأة، غير ان الصناعات الإيطالية تفوق ذلك في مجال الصناعي والغذائي كذلك.
غير أن الصورة الحقيقية تكمن في أن معدل الناتج القومي انخفض حين كان في 1970 يحقق 40% انخفض بشكل كبير في التسعينيات ليصل الى 25% وهو ما زال في تراجع، وفي عام 2000 بلغ عشر مرات أقل، وهو ما ينبئ عن خطر.
ألبيرتا: لم أعلم بذلك
أناميا ريا: مندهشة
فرانسوا: نسب الانفصال بين الزوجين من الناحية الاجتماعية كانت في عام 1975 ، 19 الف وأصبحت 84 الف في عام 2008 وهو ما ينم عن خطر مجتمعي أيضا.

لاحظي معدلات الجريمة زادت لتصـــبح 196 جريمة في 1999 لكل 1000 نســـمه، وهو مرتفع مقارنة بالخمسينيات من القرن الماضي،
البيرتا: ولكن شيف فرانسوا من أين حصلت على هذه البيانات؟
فرانســـوا: لذلك أنا طموحي بأن يتم تنظيف دولنا الأوروبية من هذا كله لتبقى أوروبا قارة آمنه، ونحن في فرنسا لدينا الكثير أيضا حيال المشاكل المجتمعية.
ألبيرتا: اعتبرني معك حيال ما تود أن تحققه من طموح، ولكن لدي سؤال قد يحرجك قليلا وكان لا بد أن أبوح به.
نسمع باب المنزل يفتح فيغلق، فإذا به والد ألبيرتا،
البيرتا: بابا هذا الشيف فرانسوا معنا ونحن بانتظارك
أدريانو: بونا سيرا شيف فرانسوا، وتعني بالإيطالية مساء الخير
فرانسوا: بونا سيرا عزيزي أدريانو
يجلس أدريانو ليشارك الجميع الحوار، وتقوم أنا ماريا لإحضار قهوة له
أدريانو: ها، يبدو أن حوارا كان محتدما فيما بينكما، يمكنكم المواصلة لحين تدعونا أمكم للطعام
البيرتا: بابا، الشيف فرانسوا أبهرنا بما لم نكن نعلمه عن إيطاليا مع أنه فرنسي، وسردت ألبيرتا بعض ما علق في ذهنها من أرقام، ثم قالت أعتذر منكم كي أساعد والدتي بتحضير المائدة
شـعرت بنفســي أن الســؤال الذي كان يقلقها ذو مغزا عميقا لم تشـأ أن تطلع والدها عليه، وعليه لم أحثها على الســؤال حتى ونحن على مائدة العشـــاء، نادت الجميع البيرتا للمثول للمائدة التي أعدتها، دخل فرانســوا بعد ادريانو، ليتعرف على موضـــعه من المائدة، فأشـــار أدريانو عن يمينه ليتخذ فرانســـوا مقعدا، فجلس وأخذ يستعرض بنظرة سريعة على ما حوته من أطباق، فقال:
روعة يا البيرتا، تقييمي الذي لا أجاملك فيه قد بدأ عبر مسـح عام، ذلك أن جميع الأصـناف على المائدة غنية بالألوان، وهذا له تقييم عندي، ثم إن الروائح تنم عن إستخدام غني للبهارات، وهذا له أيضـا تقييم، أما المذاق، فأرشديني بأي أبدأ؟
البيرتا: سأكسر الأصول في التقديم للضيوف لاقول لك ابدأ بما تشير اليه معدتك وأنفك.
أعجبتني إفادتها، وهو ما يشـير للخروج من الصـندوق في آلية التفكير لديها، أما أدريانو، فقد تناول بأسـلوبه التقليدي الشوربة كي يستفتح بها العشاء.
لقد كانت أمسية سعيدة، غير أن ما بصدرها من سؤال أضحى محل قلق لدي طوال ثلاث أيام فبادرتها باتصال هاتفي، شكرتها على حسن الاستضافة ثم ذكرتها قائلا:
فرانسوا: أذكر أنك قد رغبت بسؤالي عن أمر ما، ولكن يبدو لي أنك نسيت ذلك أثناء الأمسية، فما هو سؤالك؟
البيرتا: ليس بهذه الأهمية ولكن عجبت من رجل أصـوله ليسـت من ديار الغرب ولكن قلبه عليها كما لو كانوا أهله، فما تفسيرك لذلك؟
فرانسـوا: الله سـبحانه عندما أنزل آدم الى الأرض، كانت المهمة (ليسـتعمركم فيها)، والاسـتعمار يعني البناء والمحافظة على جميع أجزاء الأرض، وليس أرض دون أرض، فالذي تقوم به بعض الدول الأوروبية مثلا في دفن مخلفاتها النووية في بعض الدول الافريقية الفقيرة بمقابل مادي زهيد، هي في حقيقة الامر لا تعمر الأرض بل تدمر سـكانها بذلك التصـــرف، نحن ديننا الإســلامي يحث على تفعيل التعارف ويبلغنا بأن دعوة الدين الإسـلامي هي ليسـت للعرب وإنما هي رحمة للعالمين، لذلك فإن أنا ولدت في فرنسـا فهذا يعتبر وطني وإن عملت في إيطاليا فهو يظل وطني، حتى أجدادي من الأصول العربية أو البوسنية تظل ديارهم ديارى.
البيرتا: هل دينكم يمنع الزواج من النصرانيات؟
فرانسوا: لا يمنع، فنحن ملتزمون بمبدأ لا إكراه في الدين، ولكن مهم أن يدرك الطرف الآخر عظمة ما يحمله ديننا من قيم ومبادئ، كي يكون عارفا بما تعنيه كلمتي (الرشـــد من الغي)، وهنا وفقط هنا يكون قادرا على الاختيار الحر، ما بين ما يؤمن به والدين الإسلامي.

البيرتا: هل أجد لديك كتابا بالإيطالية عن الدين الإسلامي؟
فرانسوا: سأجلبه معي مع أول وليمة يطلبها أبيك مني لمنزلكم، وهي وفق الجدول الذي بحوزتي ستكون الأسبوع المقبل.
كان سؤالها ينم عن ذكاء وفطنة كما ينم عن رغبة بالتعرف، تعرف على الدين وتعرف علي رجل قد يرتبط معها بعلاقة زواج، الآن أصبحت أكثر قربا من اتخاذ رأيا حيال زواجي من إبنة عمي أو البيرتا، وهو ما جعلني مستقرا نفسيا.
أصبحت ومع مرور الأشهر كما لو كنت فردا من أفراد عائلة أدريانو ، لحين أن تملكتني الشجاعة فقلت لادريانو هل تعتقد لو أنني أتقدم لاابيرتا من أجل الزواج ستقبل بي زوجا، فهلل وجهه فقال، لقد أصبحت فردا من أفراد عائلتي يا فرانسوا، والغريب أن البيرتا بالأمس بادرتني بسؤال مماثل إذ قالت، بابا هل يعجبك أن أكون زوجة لفرانسوا؟ فيا لها من مصادفة ويا لها من لحظة سعيدة، مبروك لكما هذا القرار، سأبلغ البيرتا وأنا ماريا بذلك، واعتبر أن الخطبة قد تمت ولا ينقصنا سوى الإعلان عن تاريخ عقد القران والزفاف، ويا له من يوم فرح.
البيرتا: ولكنه مسلم يا أبتي!
ادريانو: وما الضير في ذلك إن كان شهما ومتقد الاحاسيس والمشاعر ومحترف وفق سمعة دولية.
البيرتا: حتى وإن غيرت ديني؟
ادريانو: طالما ستبقين قريبة مني ومن والدتك، الدين لا يحث على الفرقة بل يحث على الجبر دائما.
هكذا كان نهج تواصل ذكي أبدته البيرتا مع والدها، كما تواصلت أنا مع والدي، كما التواصل تم مع جدتي أمينة، لأخبرهم عن موعد زفافي وعن رفيقة العمر، لم أجد منهم سوى المآزرة وهو ما جعلني منسجما نفسيا معهم ومع المجتمع الغربي عموما، كنت أتوقع منهم شيء من الرفض، وربما حتى القطيعة حال لم أتزوج من بنات الاعمام، ولكن قبول كهذا جعلني واثقا بما أنا فيه من نمط تفكير وطموح أرغب بتحقيقه، وقد أكون حالة شاذه في ظل عائلة محافظة كعائلتي، ولكن حال وقت التعزيز لنقطة تحول ستشهدها القارة العجوز، نقطة تحول سواء في ما جعلنا محبوسين ضمن قواعد ونظم وتقاليد أو في إعادة النظر حيال أساليب التغيير التي ننشدها، والتي يجب أن تأخذ نمطا غير مسبوق، وتعتمد الحكمة في التنفيذ.

مر عامين على زواجي من البيرتا، وأطلقنا أنا وبرنارد مشروعنا المجتمعي، والذي أخذ صفة الوقف، وتمكنا من حشد مؤازرة التجار وبعض المدن المحيطة بنا كنابولي وفلورنسا، عندما جاءتنا رسائل رسمية منهم للمساهمة في حل بعض المشاكل المجتمعية التي تنخر مجتمعيا بمدنهم، وتنوعت المشاكل عبر مسارات الصحة وحل مسائل التمويل لادارة السجون، والمرور والتعليم وهكذا، فقد كنا ركن ركين في معظم لجان تلك المدن، وكانت البيرتا معي في كافة اجتماعاتي تلك، وهو ما جعلها بمثابة مساعد رئيسي في المؤسسة الوقفية هذه، وأذكر في إحدى اجتماعاتي التي كانت في نابولي، وكان موضوعها التعليم ومساره المستقبلي:

استعرضت حينها إحصائيات عن المسار السلبي الذي يمضي فيه منحنى التعليم في ايطاليا، فثمة انخفاض في معدلات من ينخرط في كليات الرياضيات والفيزياء بمعدل 2.6% لعام 2009 في حين المعدل يصل بالسلب 13,9% في كليات العلوم السياسية والعلوم الانسانية، أما علم النفس فنسبة الانخفاض 7%، وجدت وأثناء استعراضي للنسب، ما تدسه الي البيرتا من ورقة مطوية ، فتحتها أثناء العرض، خشية أن أكون قد أطلت، فإذا بها كتبت (أشهد الا أله الا الله وأن محمد رسول الله)، ما جعل الدمعة التي كانت محبوسة طيلة العاميين الماضيين تتدفق وتأخذ مسارها على وجنتي، حينها ظن المجتمعون بأنني كنت متأثرا بالنتائج السلبية، وهو ما جعلهم متآزرين مع ما قدمت لهم، معتمدين نهج المعالجة التوعوية التي قدمناها لهم.
فكتبت في مذكرتي:

تأملتُ.. في عظمة (الاسلام) كدين، ذلك أنه لم يطلب من معتنقيه طقوسا تعبدية فحسب، بل طالبه بأن ينسجم مع الجمادات من حوله، تأمل في دين يطلب من معتنقيه الانسجام مع الجمادات فكيف سيكون انسجامه مع بني الانسان الاخر، واستعرض معي إن شئت (يا جبال اوبي معه) ، الجبال يسبحن معه والطير!!، جبل أحد (نحبه ويحبنا)، بل أضحى يستجيب للأوامر (أُثبت أُحد)، وجعل له مكانه التقدير في النفوس فلم يقل الحج الطواف بل (الحج عرفه)، وجعله يمضي سبعاً (بين الصفا والمروة)، بل ويقبله في أشرف زاوية من زوايا الكعبة، ووطّد علاقة المودة والحنو معه إذ حفظه في (الكهف)،
أي امتزاج هذا وأي علاقه تجسرت فيما بين هذين المخلوقين!
وعليه أسأل هل استطاع مسلمنا المعاصر أن ينسجم مع من حوله من بني الانسان! هل استطاع ان ينسجم مع أخيه المسلم؟ أين الخلل إذاً؟

تلك كانت لحظة لا تنسى، باركت لالبيرتا القرار، وبشرت والدي وجدتي بإسلام البيرتا، أدركت ألبيرتا في العام الثالث لإطلاق مشروعنا الوقفي آلية العمل، وهو ما جلنا أنا وبرنارد نعتمدها كناظر للوقف ومديرا له.
وهكذا يكون الامر قد استوى عبر مجموعة من المؤسسات والشركات التي دشناها سويا أنا وشريكي برنارد، فثمة معهد لتدريب الطهاة، ومن المعهد نعين في شركة إدارة المطاعم الطهاة المحترفين، وثمة مؤسسة وقفية لخدمة المجتمع، وعلاقات مستمرة مع زبائن المطعم الذي نديره في فندق رينيسانس فينسيا.

أذكر بعدها نادانا برنارد للاجتماع، فكنا أنا والبيرتا وهو، حيث أبلغنا عما يجرى في لاس فيغاس من مؤتمرات، بل مؤامرات عبر منظمة محمية من قبل الولايات المتحدة ، منظمة للهاكرز، قراصنة الانترنت، حيث وظيفتهم هي تنفيذ ما في أجندة الولايات المتحدة باسمهم، كي لا يتم إتهام أميركا بذلك، وقد استعرض الدور الشيطاني الذي يقومون به عبر مؤتمر فاب كون في مثل انقلاب في دولة أو التأثير على دوله بعزل مسؤول كبير فيها، أو في نقل أموال من حسابات مصرفية لأخرى دون تعريضها للضرائب وكذا لعمليات غسيل الأموال، بين من خلال عرضه برنارد حجم العمل الدؤوب الذي تقوم به هذه المنظمة وغيرها من المنظمات كمنظمة بلاك ووتر في العراق من جرائم بتمويل أميركي، وهو ما جعله يطرح أمر توسعة نطاق العمل في المؤسسة الوقفية المجتمعية، بما يجعل دورها فاعل على نطاق أوسع من أجل التعمير أمام الهدم الذي تعزز له تلك المنظمات،
فكتبت أقول:
تأملتُ.. في (المعادلات) التي يطلقها دين (الاسلام)، فتاره (ما نقص مال من صدقه) وتاره (ان تنصروا الله ينصركم) وتاره (الا بحبل من الله وحبل من الناس)، والمعادلات لا تنتهي، فكل يوم نحن نتعرف على شيء منها وكأننا أمام دين جديد لم نكن نعرفه ونمارسه من نعومة أظفارنا، أتدرون ما السبب ؟
ذلك أن الاسلام تنطلق (معادلاته) من فلسفة و(مفهوم) هذا الدين، لا من خلال ما نمارسه من طقوس تعبدية، ولكم في { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } خير مثال، وانظر إن شئت فيما نقله التاريخ لنا في معركة(مؤته) أليس هو مطابق للوضع مع معركة(غزه) ! حيث كان المسلمون آنذاك ٣ آلاف مقابل ٢٠٠ الف (الروم كانوا ١٠٠ وانظم لهم العرب المنافقون ١٠٠ الف) ، إن ما تمخضت عنه (مؤته) ستتمخض عنه (غزة) بإذن الله ، أليس هو من ثبت في قرآنه ،{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}، فان لم يكن (الغزاويون) ممن استضعفوا في الارض فمن يكون غيرهم بالله عليك !

وهو ما قدح فكرة التكامل مع مؤسسات المجتمع المدني ليس على مستوا محلي بل دولي على مستوى القارة الأوروبية، وهو ما جعل الفريق يقرر لتوسعة خدمات المؤسسة الوقفية، وهو ما تم إنجازه، عبر قاعه واسعه ملئت بشاشات حاسوبيه، جميعها اصطف على حائط، بشكل ربما اربع الي خمس مستويات ، الواحد تلو الاخر ، ربما يناهز عددها الاجمالي الثلاثون شاشه ، نسمع حوارا من قاعه مجاوره في ما يشبه البث المباشر ، ويظهر على الشاشة مذيع الاخبار الاقتصادية مستعرضا ما اصاب اسواق المال العالمية من هبوط حاد في مؤشرات لاسهم عالميه ، ثم نطالع في خبر اخر ضمن محطه تلفازيه ، رجلا وهو يقع مغشيا عليه من شده وذهوله بالخبر ،

نسمع تعليق بين اثنين في القاعة

الموظف في مكتب المدير: هذه والله مصيبه

المدير: بل هو حفظ

الموظف: يطالع المدير باندهاش

وفي زاوية من أقصى يمين القاعة

مراقب الاداء من على شاشه جهاز حاسوبي: يقول ٧٥٪

المسؤول: ومقارنه النتيجة بالنتيجة السابقة!

المراقب: + ٦٪

المسؤول: هذا انجاز عظيم، هذا على مستوي اي قطر عربي؟

المراقب: مصر، طبيعي هذا يخص النمو المحقق في قيمه واحده فقط وهي الامانه

المسؤول:

علي نطاق اي محافظه؟

المراقب: محافظتي القاهرة والإسكندرية معا

المسؤول: ماذا عن اقل نسبه سجلت هذا العام حيال ذات القيمة، مع اي دوله عربيه كان؟

المراقب: اليمن قبل الثورة، تغيرت النتائج بعد ذلك

المسؤول: هل تأكدتم من العقد الموقع بيننا وبين الطلب الذي جاءنا من مصر حيال عدد المحافظات؟

يدخل فني الاعطال الفنية: صباح الخير والنور

الحضور: صباح النور يا سرحان

الفني: قيل لي ان عطلا ما في الجهاز رقم 1214/24، اين مراقب الجهاز؟

المسؤول: ذهب توا بعد طول انتظار، اخذ جهاز اللاسلكي متحدثا، الو حسن الو حسن ، الفني بانتظارك لا تتأخر

حسن: يأتي مهرولا، اهلا سرحان كاتم اسرار نمذج (م.ح)

سرحان: اهلا بك حسن، قل لي اولا، ما كلمه السر الخاصة بجهازك كي اتبعها بكلمه سر النموذج (م.ح)

حسن: يدخل بأناملة كلمه السر، يتبعها سرحان بكلمه سريه مطوله

الفني: يمكنك الان استغلال وقتك في شي مفيد الى حين انهائي للعطل

حسن: قل لي بالله عليك يا سرحان منذ متي وانت تعمل في هذه المؤسسة ؟

الفني: خمسة أعوام

حسن: هذا يعني أنك كنت من اوائل من عين في المؤسسة

الفني: اخذ ببطاقته من على صدره والقاها علي مكتب حسن، التقطها حسن فاذا به يقول وبشي من الدهشة

حسن: رقم توظيفك 001

ما يعني انك اول موظف في هذه المؤسسه ، اين المؤسسون وما عسي ان تحمل بطاقات تعيينهم من ارقام ، اصفار مثلا !(وهو يسخر)

سرحان: يضحك، هل تريد ان تعرف القصة يا حسن؟
حسن: بكل فضول، اكيد
سـرحان: اذكر انه اتصـل بي وطلب مني، ان كان ذلك يوافق اجندتي المزدحمة بالمتابعات ، للحضـور للاجتماع الذي ضم اثنان لم اكن اعرفهما من قبل وهو كان الثالث .
حسن: ومن عساهم ان يكونون؟ ومن عساه ان يكون؟
سرحان: فرانسوا بن بردان
حسن: رئيس مجلس الإدارة بنفسه!
سرحان: وبعد الاجتماع، قال لي ، اخي سرحان اعلم بان المؤسسة لن تقوم الا بسواعدك و وبحكم تخصصك التقني فانت من سيبني لنا النموذج
حسن: تقصد نموذج (م.ح)
سرحان: نعم
حسن: إذا هذا النموذج انت صاحبه
سرحان: كلا، بل هو لصاحبيه اللذان كانا معه، برنارد والبيرتا ، وانا من ترجمت نموذجهما الى نظام متكامل
حسن: ومن الشركاء
سرحان: الشركاء ، احمد معطي خبير علم الاجتماع ، والشيخ بوبكر الحضرمي الشيخ المشهور بغزاره علمه في العقيدة والفقه ، وكما تعلم بان خالد هو خبير في علم الاحصاء
حسن: وما موضوع ان تكون الموظف رقم واحد!
سرحان: ذلك وبعد ان اقتنعت بفكره النموذج اشترطت على الحضور ان اكون معهم مؤسسا فقبلا وزاد في حماسهم ان قالوا بأنني سأكون وقبلهم جميعا الموظف رقم واحد.
حسن: اذا انت ايضا مالك في هذه المؤسسة! بل ربما عضو مجلس اداره!
بحذر وشيء من التلعثم يقول حسن: قل لي بالله عليك هل انا اقترفت بأسلتي هذه جرما استحق فيه الطرد من مؤسستكم!
سرحان: لا تكن احمقا، فقط امتثل للتعليمات واعمل بجد، فنحن بصدد بناء أمه لا شركه .

تصل اشاره صوتيه لسرحان اثر انتهائه من تشغيل جهاز حسن فيستجيب للإشارة، منهيا حديثه مع حسن قائلا له ، سررت بالتعرف عليك ، انا فوق ذلك مجرد موظف واستحق الفصل اذا اخللت بأنظمة المؤسسة .
يسير سرحان متجها الي حيث الإشارة الواردة اليه، ممر تلو ممر الى ان يصل الى مبنا محاذيا لمبنا مراقبه الاداء القيمي للشعوب، حيث بعظم تصميمه يمنحك شعورا بكبر حجمه، متعدد القاعات ، تسمع عن بعد تداخلا لمجاميع من الحوارات ، يصعب على المستمع ان يستبين موضوعاتها ، يصل الفني سرحان الي قاعه اجتماعات مصغره يجلس من حولها اربع خبراء متخصصون في علوم الاجتماع والاحصاء والاعلام ، ولما كانوا منطلقين في الحوار فاذا بأحدهم يقطع الحوار ليحدث سرحان
احدهم: اخ سرحان انقذنا، لقد تعطلت الشاشة الرئيسية من استقبال الإشارة وما عدنا نستطيع متابعه الاحداث
على الفور يلتف سرحان من حول جهاز العرض ليستكشف الخلل، فاذا به يستمع للحوار الذي كان يدور فيما بين المجتمعون
الاول : لا انا كإعلامي متخصص في كتابه افكار وسيناريوهات الاعلان التجاري والتوعوي بنوعيهما ، اقول بانه كان بالإمكان ان تجعل وكاله الاعلان السلعة المروج لها في الاعلان تدور حول القيمة التي اعلنا عنها ضمن قائمه مطوله من القيم المجتمعية لهذا العام ، هنا يبدو ان التاجر بل ربما وكاله الاعلان تغافلت ذلك فقدموا الاستحواذ على ما في الجيوب على ما يمكنهم ان يقدموه للمشاهدين من تعزيز لقيمه مجتمعيه ، لذا انا رأيي هو ان نرفع توصيه لوكالة الاعلان بان تعيد النظر في السيناريو ، لتكون السلعة معززه لقيمه يختارها التاجر او وكاله الاعلان ضمن القائمة التي أعلنا عنها لجميع مؤسسات ووكالات الاعلان لهذا العام

الثاني: ولكنها سلعه غذائية قل لي بالله عليك كيف يمكنهم ان يجعلوها معززه لقيمه مجتمعيه وهو ينشد بيع ما لديه من مخزون، هل تريده ان يمني بخسارة!
الاول: بل اريد بذلك ان اضاعف له ما يبيع وأعظم من ربحه
الثاني: كيف بالله عليك
الاول: سأريك هذا الاعلان التجاري وهو لبيع الآيسكريم، ويظهر في الاعلان الممثل الكوميدي الامريكي الذي اشتهر في ثمانينيات القرن الماضي وهو، بل كوزبي ، لاحظ معي المشهد
يستعد الجميع لمطالعه الاعلان التجاري، فاذا بهم يطالعون بل كوزبي وهو يتناول عود الآيسكريم وهو متلذذ بما يتناوله ومن امامه جهاز هاتف ثابت ، فاذا برنين الهاتف يدق فلا يلتقطه ، بل نسمع بل كوزبي وهو يقول عبر رساله صوتيه يبثها الهاتف للمتصل
الو انا بل كوزبي ، انا غير موجود ، بل انني خارج المدينة ، يرجي ترك رسالتك لأعاود الاتصال بك . ..
يحدث هذا مع اتصالين وفي الاتصال الثالث نجد بل كوزبي مضطربا عندما كان المتصل والدته، اذ تقول ، يا بل انزل عود الآيسكريم من فمك والتقط سماعه الهاتف ، فيلتقطها بل كوزبي على الفور ..
الاول: لاحظتم كيف تم تعزيز قيمه احترام الام! نعم في الاعلان ما يشير لممارسه الكذب عندما قال انا لست في المدينة ولكن من الممكن عمل اعلان مماثل يتجنب التاجر فيه الكذب فيعزز قيمتي الصدق وبر الوالدين مثلا، هذا مجرد مثال .
الرابع: اري ان لا يمنح التاجر رزمه البث المخفضة في النطاق الجغرافي الذي يستهدفه وهو في منطقه دول الشام الا بعد اجراء التعديل، يسأل الحاضرون، موافقون !
الثالث: ما هو بروفايل قيمه العدل لهذا العام، وما برنامج حملاتنا التواصلية في اليمن مقارنه بلبنان ؟
الرابع: يفتح الشاشة المخصصة لقيمه العدل فيعلق قائلا ، في العموم نحن نحرز تقدما في كافه الدول العربية بمقارنه سريعة للسنوات الخمس الماضية ، غير ان برنامج التواصل المنفذ في لبنان يختلف في مزيجه التسويقي مع البرنامج المعتمد لدى اليمن وذلك لاعتبارات خاصه بمدى تفاعل الشعبين بالوسائل الإعلامية المتاحة في كل بلد ، فنلاحظ علي سبيل المثال من ان المزيج لوسائل التواصل في لبنان يركز اكثر علي الاسواق والقنوات التلفزيونية بينما في اليمن فهو يركز على الندوات العامة والفعاليات داخل الجامعات والمدارس ، هذا مع اعتبار وسائل الصحافة والإذاعة لدى البلدين فهما متاحتين بالأصل.
الثالث: نعم كذلك فان وكالات الاعلان في كلا البلدين قد اجتهدتا في وضع افكار ابداعيه لتعزيز القيم تلك على تنوع واحتياجات كل شريحه، وحسب ما كشفته لنا نتائج المسح الميداني الخاص بكل دوله، فمثلما تعلمون انه بالرغم من ثبات مسمي القيمة فإننا نلاحظ مسببات مختلفة فيما ينال منها مع كل بلد ، وعليه تختلف المعالجات من كل بلد عن البلد الاخر .
الاول: على العموم فان برنامج هذا العام مفعم بقوائم من القيم والتي تحتاج الى تعزيز فيما بين قيم ذاتيه واخري مجتمعيه وثالثه مؤسسيه ، ونلاحظ ان ثمة زياده في معدلات الشركات التي اصبحت منخرطه في الترويج عما تبيع سواء من سلع او خدمات عبر نموذجنا (م.ح)

أذكر أنني دخلت غرفه الاجتماعات، فحييت الجميع ثم عمدت الي سرحان فقبلته على جبينه وقلت له ، سرحان صديقي الذي لا ينام اذا نامت جميع الاعين ، طمني كيف حالك ،
سرحان: بألف خير طالما كنا ننجز وكنا ممتثلين (للحكمة والموعظة الحسنه)
فيسترعيني حوارا تلفزيوني شدني اثناء لقائي بسرحان، فأقول لسرحان: هل لاحظت
سرحان: لاحظت ماذا !
فرانسوا: بل قصدت هل سمعت ما قاله هذا الرجل منذ لحظات؟
سرحان: وما الذي قاله لم اكن معه بل معك انت

فرانسـوا: كان يقول في المشـهد الذي عرض، (سـبحان الله المعطي والمنان ، شـتمني توا ابني وتعامل معي بعنف ، وهو الابن الوحيد لي ، فتصـلني رسـاله نصـيه عبر جوالي يقول فيها المرسـل ، نحن سـبعه من طلبه الجامعة كنا نتابع انجازاتك وحواراتك عن كثب منذ امد ، هل تقبل ان نكون لك ابناء تربينا علي العلم الذي آثرك الله به) ،
فقال خالد: سبحان القابض الباسط ،
سرحان : انه ممتثل لنموذجنا (م.ح)
فرانسوا: بالضبط وهذا الذي نريد ان نبشر به ليس من نتواصل معهم فحسب بل البشريه جمعاء

فرنسوا: هل ابلغك السكرتير عن موعد الاجتماع مع شركه بيع المنتجات عبر نموذجنا؟
سـرحان: نعم وقد سـبقتكم في جمع المعلومات عن الشـركة ومن حيث المبدأ انا ازكيها ان وافقت على شـروط نموذجنا

أخذت بيد سـرحان بلطف وهو يسـير في الممر الطويل الذي افضـي الى مبنا كتب عليه (دار م.ح) ، فاذا بهم امام بهو مفتوح يفضـي الى مكتب نصف دائري ومن خلف المكتب سكرتير مستغرق في تلقيم جهاز الكمبيوتر بالبيانات ،
فرنسوا: مرحبا جورج كيف اصبحت اليوم
جورج: بعافيه والحمد لله، هل من خدمه
فرنسوا: نعم قل لي هل كافه القاعات مشغولة؟
جورج: نعم، غير ان القاعة رقم ١١ ستبدأ جلسات النقاش فيها بعد حوالي ١٤ دقيقه من الان
فرنسوا: وما عدد الحالات التي سيتم تداولها اليوم
جورج : يتجه نحو جهاز الحاسوب ، يلقمه بعض البيانات ، فيقول ، وفق الجدول من الساعة السادسة صباحا وحتي السـاعة العاشـرة هناك ٣٤٥ حاله ، وفي جوله السـاعة ١٠:٣٠ وحتي السـاعة الثالثة ظهرا هناك ٢٠٩ حاله ،
يقاطعه سرحان فيسأل: وما طبيعة اهم القضايا المرسلة الينا؟
جورج: يبدو ان القضـــية الاولي وفق التصـــنيف الذي وردني لهذا اليوم ما له علاقه ببر الوالدين وهي تعادل نسبه ٤٣٪، تليها قضيه الأمانة بنسبه ٢٤٪ ، ثم بنسبه ٩٪ في مجال التعامل مع المصائب
فرنسوا: وما هو البروفايل الخاص بالحالات خلال شهر من هذا اليوم؟
جورج : الاضـطرابات النفسـية اسـتحوذت على النسـبة الاكبر فقد حققت معدل ٥٢٪ ، تلتها قضـيه الخلل في ممارسه المسؤولية فقضايا الأسرة
فرنسوا: سرحان هل لديك شفره الدخول الي القاعات؟
سرحان: بالطبع ، اي قاعه سنقصد ؟
دخلنا أنا وسـرحان في القاعة رقم ٢٠، حيث نقاش محتدم يدور بين ثلاث خبراء، وهم خبير في التربيه واخر في علم النفس واخر في العلم الشرعي ، وكانوا يتجاذبون حاله على الهواء مباشره
الخبير النفسي: من الواضح ان هذه الفتاه تعيش حاله من الاضطراب، وهو ما يفسر سلوكياتها التي رأيناها ، ومن الواضـح ان والدتها وهي من اسـتدعتنا لهذا الاجتماع والحوار فضـائيا ، حاولت عبر اسـاليب عديده من اجل تحديد ما يشكل دائرة مشـتركه تتمكن عبره ان تنطلق في حوار يكون اقرب ما يكون بالمنسـجم مع ابنتها ، غير انها لم تفلح
الخبير التربوي: في تصـوري لا مجال الان وبعد ان وصـلت حاله الاثنان الى هذا الموصـل لإسـداء النصـح للفتاه، فهي من الواضـح انها وبإرادتها اغلقت كافه سـبل التواصـل، وعليه فانا اتصـور لو اننا عمدنا الي نهج

اخر من خلاله نخفف على والدتها ما تعانيه من الم حيال عقوق ابنتها ومن جهه ثانيه ان نرشدها الى ما يشكل املا مع ابنتها حتي ولو بعد حين
الخبير الشرعي: ان في نموذج (م.ح) وهو يعني مشكاه اسماء الله الحسني ، ما يمكن ان نفعله فيحقق الذي طرحتموه وهو مساله التخفيف من معاناه الام
الخبير النفسي: مع اي اسم بالتحديد؟
الخبير الشرعي: مع اسم الصبور واسم المعطي واسم الوهاب
الخبير التربوي: افدنا افاض الله عليك
الخبير الشرعي: ان الله سبحانه قد استجاب لدعوتها عندما دعته باسم الوهاب ان يهب لها ذريه ، واعطاها في الوقت الذي حرم الاخريات من عطاء الابناء ، ومن يقول ان البذرة بالضرورة ستنبت بلحا عند غرسها ، بل هي بحاجه الي تعهد مستدام ورعاية وتفقد يومي ، فلتتأمل الام هل قامت بالفعل بهذا التعهد كما هو واجب ، ام تراها انشغلت عنها فتشكلت البذرة في اجواء قاسيه ، وهو ما يستدعي جبر الكسر الذي آلت اليه ابنتها ، فسلوكها ينسجم ويعلن عن معاناه وقساوة كانت تلفها لسنين طوال ما جعل كل لفظ تتلفظه معبر عن قساوة تلك الايام الخوالي ، لذا ننصح الام هنا لان تتعبد باسم الله الجبار فتعمد الى جبر ما تراخت عنه في الايام السالفة ، وتتعهد هذا الجبر بالصبر والتصبر الى ان تظفر بالعطاء المأمول ، والله يقول انا عند حسن ظن عبدي بي ، فحسن الظن مطلوب هنا في التخلق مع كل اسم من اسماءه الحسني
الخبير التربوي: جميل، اذا نحن هنا بصدد برمجه ذهنيه للام،
الخبير النفسي: وبرمجه سلوكيه لتصرفات الفتاه ، لذا ننصح الام بالتوجه الى عياده ارشاد نفسي وهنا نزكي مكتب المستشارون النفسيون ، فهم مؤهلون لتقديم المشورة وتحديد عدد الجلسات، كما ان الام تعلم من ان المكتب لن يتقاضى عنها اي مبلغ بحكم انها ضمن رزمه مدفوعة الثمن مسبقا من خلال نموذج (م.ح)
يخرجان خالد وسرحان من القاعة ويتجهان نحو القاعة ٧، لم يكن هناك ما يشاهد عبر شاشه التلفاز ولكن حوار بين خبيرين شرعيين وثالث متخصص في الخرائط الذهنية وكان الحوار يدور حول تطوير سبل التخلق باسم الله الحافظ
خبير الخرائط الذهنية:
ان الامر يتعلق بزاويه النظر الى ما يدور حولنا من امور ، فكيف يكون مع المنع حفظا في الوقت الذي يكون فيه مع العطاء تركا ، هناك محفوظ باذل لأسباب الحفظ ، وهناك محفوظ يصرف الله عنه ويذب عنه فيحفظه لصفاء نيته ، وهناك محفوظ يمنح بطاقه خضراء فيمضي بثقه دون التفات ولا تهزه تهويلات الناس ، وهناك محفوظ يدخله الله في ما قد يسمي مصيبه كي يصرف عنه مصاب اكبر ، وهناك محفوظ الجميع يعاين حفظه في مثل موت جميع من هم في القطار الا هو ، وهناك محفوظ لا تستبين حفظه الا بعد حين ، وهناك محفوظ يتفقد مواطن الحفظ كي لا تزل قدمه ، وهناك محفوظ تصرف عنه اقدار السوء صرفا لذا قد يرى على الدوام ان اموره التي يخطط لها لم تمضي قط وفق ما خطط لها فقد يساوره شيئ من التشاؤم وهو موطن فتنه له وتمحيص ، وهناك محفوظ يرى في كل قدر حفظ حتى وان فسر على ظاهره ، وهو ما يمثل اطار الحفظ على نطاق ضيق(مايكرو)
أحدهم: ان اداه الراصد بحد ذاتها هي اسلوب لحفظ المجتمع بشكل ماكرو
يتبين ان ذلك الذي اموره ماضيه بيسر محفوظ، وقد لا يكون بالضرورة محفوظ!
ينظر سرحان لخالد نظره تشير الى الرضي بما سمعا، يرن هاتف سرحان فيلتقطه فيقول،
سرحان: اهلا حاتم، هل ساره ستاتي معك، إذا انا بانتظاركما لا تتأخرا وقودا على مهل
في مكتب سرحان، يقفا حاتم وساره، فيبادر حاتم قائلا
حاتم: ما شاء الله أنتم إذا تديرون أكثر من محطه تلفزيونيه؟
سرحان: هذه ليست مجرد محطات، ربما قد تبدوا انها محطات، ولكن دعني اوضح لكما بشكل ميسر، هناك شركات وظيفتها اداره المحطات الفضائية، فهي تتقدم بشكل سنوي بعطاءات لا داره المحطات

ساره: اعجتني كثيرا البرامج الدرامية، والاحظ على الدوام شارة الشركة مع نهاية كل برنامج
سرحان: نعم هي ذات الشركة التي فازت بالعطاء على مدي ثلاث سنوات مضت، تستمر في ترجمه قائمه القيم المرفوعة من قبلنا الى دوره برامجيه تلفزيونيه متكاملة على نطاق اقليم الشام، لذا ان كنت قد لاحظت مهرجان توزيع الجوائز من قبل اسبوع في لبنان والذي وزعت فيه الدروع والجوائز للأعمال الناجحة

حاتم: وكيف يحسم امر النجاح؟
سرحان: الشركة المديرة للدورات البرامجية في محطات التلفزة في كل اقليم يتواصلون معنا بشكل يومي كي نمنحهم نتائج وحجم تأثر متابعي برامجهم المجتمعية، كل حسب الشريحة المستهدفة
حاتم: وماذا تقصد ببرامجهم المجتمعية، السنا بصدد برامج تلفزيونيه!
سرحان : بل تلك الشركات معنيه بوضع خطه من مزيج تواصلي وتفاعلي فيما بين ما تطرحه من قضايا وما يتطلع ويلبي احتياجات كل شريحه في المجتمع ، ومثلك يعلم من ان احتياجات كل مجتمع تتنوع وتختلف عن المجتمع الاخر حتي وان اشتركا باللغة والدين ، لذا يتم استهداف كل شريحه بالمجتمع برزمه من البرامج التواصلية التي يشترك فيها البرنامج التلفزيوني مع اللقاء الجماهيري مع المسابقة مع الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية ، هو في النهاية مزيج من الأنشطة التواصلية ، وكل وجبه يتم صياغتها كي تعزز لمفهوم معين وقيم محدده مع كل مجتمع ، ونحن بدورنا نعمد الى عمليه مسوح ميدانيه يوميه للتعرف على حجم تأثير تلك الرزمة على ثلاثية المعلومة والموقف والسلوك .
حاتم: ثلاثية!
سرحان: بالطبع، فنحن نقيس حجم ما تم استيعابه من معلومات تجاه المفهوم محل الغرس وكذلك للقيم محل ما نعتقد انه بحاجه الي صيانه او معالجه.
حاتم: اذا هناك مجهود متكامل فيما بينكم وبين الشركات التي تفوز بتلك العطاءات؟
سرحان : بل وتواصل يومي ، هم يقومون ما ينتجونه من اعمال وانشطه وبرامج بشكل دوري ، ونحن نقدم لهم تقريرا يوميا ونتبعه باخر فصليا وثالث سنويا ، كما نعتبر بمثابه جناحا استشاريا حيال ما يطرحونه من رؤي كي لا يحيدوا عن الجادة ، وهذا الذي يتم كذلك مع الاقاليم الأخرى كإقليم دول الخليج والجزيرة ودول الشمال الافريقي
لذلك تلاحظ تعدد البرامج واللهجات والأنشطة غير انها جميعا يجب ان تكون معززه للمفاهيم محل الغرس والبرمجة، والقيم المراد صيانتها او تلك المراد تعزيزها، لذا اينما تنقل المشاهد فيما بين القنوات ، فطريقه آمن سالك فهو ممهد بالقيم والمفاهيم الداعمة للحمه المجتمع والتعمير والتنمية ، ومع كافه شرائح المجتمع غير مقتصر على شريحه دون اخري
حاتم: وكيف يتم التنسيق مع باقي مؤسسات المجتمع في مثل وزارات التعليم والشؤون الإسلامية في مثل المدارس والمساجد وغيرها؟
سرحان: ان الشركة التي تفوز بالعطاء لا يتم اجازتها الا اذا استوفت معايير، ومن ضمن تلك المعايير ان يكون الفريق المشرف على صياغه تلك البرامج والأنشطة مشكل من كافه مؤسسات المجتمع سواء التعليمية او الدينية او الصحية او الخيرية وغيرها ، كما يجب ان يكونوا هؤلاء من الممارسين والموهوبين والمحترفين كل في صناعته ولديهم من الاعمال ما يؤكد احترافيهم في ذلك

امام الشاشة نطالع مشهدا يجري حوار فيه ضمن مشهد درامي،
مشهد: يطالعان ساره وحاتم المشهد، وهو عباره عن حادث مروري لشخصين ينقلان الى غرف الانعاش ، الاول ينجو والثاني يموت
سرحان: قولا لي الان من هو المحفوظ فيهما الذي توفي ام الذي كتب له عمر جديد؟
ساره: بلا شك الذي كتب له عمر جديد

سرحان: بل الاثنان محفوظان
ساره وسرحان: كيف؟
سرحان:
فلو علمتما، والله اعلم وانا هنا افترض فحسب، ان الذي مات، قبض على احسن عمل قام به ، فلو مد له في الحياه لفتن ولم يستطع الصبر ، وعلى اثر موته اهتدي ابنه واقلع عن تعاطي المخدرات ، فلو لم يمت ابيه لمات بجرعه زائده ، وذهبا الاثنين معا الي حساب عسير ، فهل مثل هذه النتيجة هو ما يدفع به الله الذي سمي نفسه الودود والتواب والجبار ، فمع تلك الخاتمة جبر كسر الاب والبن و وتاب عنهما للعمل الصالح الذي جري من الاب ، (جزاء من أحسن عملا) .

والذي مد الله في عمره، فقد منحه الله فرصه ثانيه للتوبة، ولا ننسي الفرصة التي منحها الله لمالك بن دينار الم يكن قاطع طريق وصعلوكا! ، فالاثنين كانا محفوظين .

سرحان: ثم

ان كان فرعون قبل ان يتم اغراقه كان محفوظا وهو من ادعي بالربوبية، فكيف بنا نحن، فكيف المسيحيون او اليهود او حتي البوذيون، وجميعهم من الضالين ، ولكن بالتأكيد محفوظون !
ساره: كيف كان فرعون محفوظا؟
سرحان: الم يرسل له موسي عليه السلام، الم تسألي نفسك لماذا ارسل الى من ادعي الألوهية، الم يكن ثمة احتمال من ان يعتبر فرعون فيؤمن ويتراجع عن ادعائه، فيكون في تراجعه هذا حفظا له من الله من النار ، غير انه لم يستجب وعليه عوقب .
ساره: إذا الجميع محفوظ!
سرحان: نعم الجميع، الا من ابي، كفرعون عندما ابي

ساره: رأيت بالأمس في المسلسل الدرامي (الرواد) ، احد ابطال المسلسل ، وهو هيثم كيف ان كل شيء من حوله يكاد يكون مذلل له ، بينما في المقابل نجد اخيه وهو محمود كيف كانت الابواب موصده امام وجهه ، فإيهما المحفوظ هيثم ام محمود ؟
سرحان: كليهما محفوظ
حاتم: كيف وكل العوائق تحول دون ان ينجز محمود ما يجعله في مصاف المنجزين!
سرحان: هنا نحن بحاجه لتعريف مفهوم الانجاز، ومفهوم الحفظ
ساره: واضح جدا فالإنجاز ما يشهد به الغير بما تحققه من نجاحات، والحفظ في ان ...
سرحان يقاطع: ان مفهوم الانجاز ليس بالضرورة يا عزيزتي ساره ان يكون مرتبط بما يشهد به الغير او بما تحققه بالنجاح، والا كيف تفسرون تهاوي سعر سهم شركه كان الجميع يتوق لامتلاك حصه من اسهمها بالأمس، الم تطالعوا الاخبار هذا الصباح؟ ،
لم اشاهد احداث مسلسل الرواد، ولكن قد يكون العكس، كان يكون محمود هو المنجز وهيثم قد يكون بعيدا كل البعد عن الانجاز، فالحكم دوما يكون محسوم بالخواتيم او احيانا لا تستبين مواطن الحفظ الا بعد حتي انقضاء العمر!

حاتم: ولكن هكذا مشاريع بالنسبة للشركة التي فازت بالعطاء هل هو مجز تجاريا؟
سرحان: كونا معي الان ضمن جولتكما لما يعزز لبحث جامعي غني واحضرا معي هذا الاجتماع.

مدير المبيعات و اثناء الاجتماع بسرحان وضيفيه: نعم النظام الذي بحوزتنا ينسجم تماما مع النموذج (م.ح) ، فالعميل يمكنه ان يختار من ضمن قائمه المشترات ، الخدمات الاستشارية التي يرغب بها ، كما يمكنه ان يتحكم بشكل تلقائي بان يكون على الهواء مباشره معكم عبر مجس نمنحه له قابل للإدراج ضمن تطبيق عبر هاتفه الجوال ترشده لمواعيد الجلسات .
سرحان: وكيف يمكنه ان يتلقى الرد على ما طلب؟ وكم سيستغرق وقت الرد
مسؤول المبيعات: حال توصل فريق المستشارين للحل او النصح والمشورة ترسل مباشره اليه وللوسيلة التي يختارها العميل، عبر رساله بريديه او رساله هاتفيه نصيه او حتي ان رغب ضمن حوار مفتوح نعلمه مسبقا بموعده ، وهذا يرتبط ارتباط وثيق بنظم التحصيل ، فالتحصيل يتم عبر قنوات عده منها الاعلان التجاري ومنها الاشتراكات عبر الرزم البيعيه التي اسلفت ذكرها

هكذا يتم تمويل المصاريف التشغيلية لنموذج (م.ح) ايضا ، ثم اضاف قائلا ، بل ان العميل او الذي يتمتع ببطاقة اشتراك معنا نجده قد حقق مصلحتين في نفس الوقت ، المصلحة الاولي وتكمن عبر الاسعار الاستثنائية لما نعرضه من سلع ، والثاني الخدمات الاستشارية المجانية التي ينهل منها المشترك متي ما اراد ، اما التاجر فنجده ايضا قد حقق فائدتين ، الاولي في حجم الانتشار الجغرافي لما يبيع ضمن مزيج من وسائل التواصل مع شرائحه المستهدفة في سعر منافس مقارنه بما لو فكر بالإعلان عبر الوسائل التقليدية في كل دوله يستهدفها ، والثاني في زياده ولاء العملاء ، ذلك انه اصبح معنيا بالمسؤولية المجتمعية ، فكافه اعلاناته الترويجية تدعو للقيم الفاضلة وتعزز لها ، فهو بشكل غير مباشر تحد من كافه صور العنف التي تطالعنا بها وسائل الاعلام التقليدية او الاستثمارات بأنواعها وتدعو للحوار البناء وتعززا للحمه بين افراد الأسرة الواحدة وافراد المجتمع الواحد ، فالجميع هنا مستفيد ، ورسالتنا باختصار هو حفظ مجتمعاتنا من كل ما يؤثر سلبا عليها ، كي نكون بحق نموذجا صالحا يقتدي به علي نطاق عالمي .

كعادتي رجعت الى الفندق في ذلك اليوم وأنا مليء بالأمل ، والتفاؤل بإشراقه جديده، بلا شك سينعم بها الجيل والاجيال القادمة ، اجيال منزوعة الامراض النفسية ، ذلك ما أتوق لرؤيته ، لقد سئمت حياه الغرب المزيفة المطلية بطبقه سميكة من طلاءات متنوعه من الميك اب ، ما عاد للفرد الذي يعيش في الغرب رغبه بالمزيد من الحياه ، لقد سئم العيش في تناقضات لا حصر لها ، اقنعه تحوم من حوله من كل مكان ، مذ كنت طفلا في مدرستي مع من كان يحيط بي من أساتذة الى ان صرت يافعا فأصبحت ذات الأقنعة تحوم من حوله ، بل حتي الساسة ورؤساء دولهم كل يوم هم يختفون من وراء قناع ،

بعد مضي اربعه اسابيع وبعد اتمام التعاقد مع الشركة المزودة للخدمة ، اصبحت مؤسسه (م.ح) جاهزة للإعلان عن رزمه جديده من الخدمات ، هذه المرة اصبحت اكثر قربا من المواطنين ، ذلك ان نموذج (م.ح) يحاكي النمط السائد في حياه المسلمين والذي مداره في الاساس الدين الاسلامي ، وهو ما جعلها تحقق نجاحا ساهم في تنميه عطاء الشعوب العربية والإسلامية بشكل مضطرد ، اصبح السمت العام يعزز ممارسه القيم بشكل تلقائي وما اصبح المواطن العربي يلاقي المعاناة التي كانت مستشريه قبل خمس عشر عام عندما كان يرغب بان يعيش في ظل حياه كريمة منسجمه مع الانسجام الذي يفرضه الكون من حوله .

في اليوم الذي اطلقت فيه الرزمة الجديدة، بدا الناس منقسمون ما بين مؤيد ومعارض ، فالمؤيدون يرون ان النموذج اصبح يعينهم كثيرا في تخطي المشاكل التي تصادفهم في حياتهم الاجتماعية اليومية ، اما المعارضون فهم من يرون ان هذه المؤسسة اصبحت تتدخل في خصوصيات الافراد وتحد من حرياتهم ، فبين

هذا وذاك ، طلب السيد فرنسوا عقد اجتماع للنظر في اسلوب عمل النموذج بعد عمليه التطوير هذه ، فكان الاجتماع

بدت غرفه الاجتماعات هذه المرة مختلفة ، فهي تضم ثلاث انواع من الشاشات ، الاولي شاشه تستعرض لأنواع متباينة من السلع التي يروج لها محترفون في عمليات البيع ، والثانية ، تستعرض النمو من الانحسار اليومي للقيم على نطاق اقليمي ، والثالثة وهي ما شكل مدارا في المعارضة التي كتبت بها بعض الصحف العربية في بعض دولها، وبعد الحوار، تقرر أن يتم إجراء مسح ميداني في تلك الدول المعارضة للتعرف على آراء الجماهير، حيث قد تم تكليف شركة أوروبية معرفة بإجراء الاستبيانات، كي تكون النتائج أكثر مصداقية من لو تم إنجاز المسح عبر جهاز (م،ح)، فكانت النتائج مبهرة، إذ أيدت الجماهير في جميع الدول التي شملها المسح مشروع (م،ح)، وعليه قرر مجلس الإدارة الاستمرار في تقديم الخدمات، وعدم الاستجابة للغط الذي تطلقه بعض الصحف من هنا وهناك.

ابتسمت حين وجدت تناغما فيما بين ما أنا فيه من مهارة في مطبخ المطاعم التي نقدم فيها خدماتها وبين المطبخ الذي فيه نحضر للحملات التوعوية المجتمعية، فقلت يا سبحان الله، هل يعقل أن وظيفة الطهي التي علمتني مقادير لكل عشبة أو ذرة بهار أو مقدار للسكر أو الملح، في ما نعده من أطعمة، هي ذاتها من حيث المفهوم، فيما نعده من حملات توعوية في كل مجتمع نستهدفه، ذلك أن وجبة الحملة التوعوية حتى وإن كان اسمها موحدا فيما بين الأقاليم الجغرافية، فهي تختلف في التحضير والوسائل ونوع ما ندرجه من ألفاظ أو حتى نجوم، من دولة إلى دولة، فالمفهوم واحد، غير ان الشكل مختلف، أحدها لإغناء المعدة والآخر لإغناء الدماغ والقلب، لنكون بذلك قد تمكنا من أربعة وظائف في الجسد عبر الدماغ والقلب والمعدة والحواس، ليبقى المحك في مواقف الجمهور وسلوكياتهم، وكل ذلك امتدادا ليد جدتي أمينة رحمها الله.
والآن وبعد أن بلغت الستين، وفارقتني جدتي أمينة رحمها الله وأسكنها الجنة، ووالدي أطال الله في عمرهما، فهما من وجهاني دونما تقريع حيال عدم قدرتي في استكمال مراحل التعليم التقليدية، لما تمكنت من إنجاز الذي أنجزناه بتوفيق الله وعونه.
فكتبت:
تأملتُ.. كيف يحصل أن تجتهد فيما أنت فيه من مهمة ثم لا تجد ثمرة! بالرغم من بذل (كل) الاسباب مع (التوكل) على الله سبحانه، ومع ادراكك بأنه (الحكيم)، لذا فهو يقرر الوقت والمكان، ولكن جميل أن تعرف ما الذي يدور من وراء الكواليس! هل ترغب بمعرفة ما الذي يحدث من وراء الكواليس؟

ذلك أن مطبخاً كاملاً قد هُيئ لك بل ربما مطابخ، فالوجبات الدسمة تستوجب تحضيراً دسماً، لذا ستضطر لأن تنتظر قليلاً لحين تقديم الوجبة، كذلك اعلم أن من وراء المسرح الذي أنت فيه، ثمة إعداد وتمكين وجهود يبذلها أناسٌ كثيرون، فاذا بك وقد (حيزت) لك الدنيا ، فاذا بأحدهم يتصل بك مستضيفاً إياك وكأنك في حلم، فتنتهي الاستضافة بتوقيع العقد، مساكين كل هؤلاء ،لا يعرفون أنهم جميعهم يحضرون لك أنت عصارة جهودهم واستثماراتهم وموجوداتهم، نعم وهذه مجرد ثمره من ثمار بذل السبب والتوكل على الله، فلا تستعجل، فقد تفسد طعامك.

المطبخ: مطبخ تحضير المشاريع التنموية الزاكية برائحة الإخلاص

ها وقد أذن الله بتدشين المشروع الوقفي الذي آتى أكلة، أستطيع الآن أن أنام قرير العين، بعد أن جعلناه نموذجا تطبيقيا لا نظريا يستهدي به الناس.
فكتبت:
تأملتُ.. في قرابة خمسون عاماً من الاحداث التي عاينتها بنفسي، لم أكن أتصور أن تتبدل الامور بالشكل السريع الذي آلت اليه، طالما شعرنا اننا في حالة من السكون، في الوقت الذي كان حراك عظيم يتم من حولنا ولم يكن يسمح لأجهزة الاعلام ان تتناقله، او حتى تداوله بين الاوساط الا بعد ان يمضي عليه ثلاثون عاما، واتفاقيات تبرم ولا يسمح بالكشف عنها الا بعد مضي خمسون ومئة عام، والسبب في الخشية من الاثر السلبي لنتائجه السلبية، واليوم وبعد أن اصبح كل شيء (تقريبا) مكشوف لمسنا التغيير وعشناه، وان كان العلماء يقولون ان خفق جناح فراشة في غابه مطيره في الامازون كفيل بأن يأثر في مناخ الكره الارضية، تُرى كيف سيكون لاثر فعلك او انجازك على البشرية، فلا تحقرن من المعروف شيئا، بادر (بخفق جناحك) انك قادر على فعل التغيير.

أغلق فرانسوا مذكرته، وراح نحو نافذة الغرفة ليستنشق الهواء العليل، وإفترش سريره لينام قرير العين، لحين وقت موعد الإفطار.
وبعد ساعة فإذا بالبيرتا توقظه قائلة له: فرانسوا، جدتك أمينة على الهاتف
فرانسوا: ذهب مسرعا، والتقط السماعه، جدتي الحبيبة، كم أنا سعيد بسماع صوتك
الجدة: أنا في فرنسا مع والديك، ظننت أنني سأجدك معهم، أين أنت الآن، أريد أن أشتم رائحتك، وتقر عيني برؤياك.
فرانسوا: حالا، مجرد ثلاث ساعات آتيك أنا وزوجتي ألبيرتا، وابني أمين، الذي جعلت له إسما مشتقا من اسمك.
الجدة: أوو فرانسوا، كم أنا مشتاقة اليكم، كم يبلغ سن أمين؟
نسمع قرع باب في بيت والد فرانسوا، يفتح الباب، فإذا بوالدة فرانسوا تستقبل البيرتا وأمين وفرانسوا بالتهليل والزغرته.
يحتضن فرانسوا والديه ويقبل يدي جدته ووجنتيها، مقدما لها الهدية (أمين).
الجده: سآخذه معي الى سراييفو
البيرتا وفرانسوا ينظران لبعضهما البعض، فتبادر البيرتا، بكل سرور جدتي أمينه، فور بلوغه التاسعة من العمر، فهو الآن ما زال غضا فهو لم يتجاوز من العمر سنتان.
الجدة: تنظر الى أمين وتقول له، سأنتظرك لمدى سبع سنوات، ولن أتنازل عن العرض.
فرانسوا: وهل ستجعلين منه محترف طباخة أيضا؟
الجدة: لا، هذه المرة سأجعل منه رجلا مجتمعيا، سأعلمه فنون التواصل مع الغير وفنون كسب القلوب، عبر علاقاتي المجتمعية.
فرانسوا: جدتي أمينه، كأنك تنوين بذلك ترشيح نفسك للبرلمان البوسني؟
البيرتا: فرانسوا، جدتك تصلح لان ترشح نفسها للرئاسة البوسنية وليس البرلمان فحسب.
يضحك الجميع، ويتجهون لتناول الطعام المعد لاستقبالهم.
وعلى مائدة الطعام، يدور حوارا بين الجميع، حين أثار والد فرانسوا سؤالا قائلا:
بن بردان: لم يكن من السهل علينا، تركك لفرنسا وتوجهك لإيطاليا، ولكن حبنا لك جعلنا نستسلم.

فرانسوا: وهو ما تجرعته الجدة أمينة لسنوات عبر رغبتك بالتوجه لفرنسا للعمل هناك، اليس كذلك؟ وهو ما جعل والدتي من أصل بوسني حين رغب شخصا فرنسيا يتزوج بها!، ولولا مثل هذه التنازلات لما حظيت أنا بأمين، ولا ألبيرتا الحبيبة زوجة كريمة.
كرمك معي والدي الحبيب وكرم والدتي هو من أوصلني لما أنا فيه من سمعة وإنجازات، فلولا التوجيه من الجدة والرعاية والتفهم اللازم منكما حيال عدم استكمال الدراسة والالتحاق بالمعهد الفرنسي لما تمكنت من الوقوف على رجلي.
الجدة: فرانسوا، لقد كنت متفردا من الصغر، وهو ما يجب أن ينتبه اليه أولياء الأمور، ليس صحيحا أن ينخرط الجميع ضمن مسار موحد في التعليم ومراحله، فنحن لا نستهدف استنساخ البشر عبر علوم ومهارات لا يتمكن فيها الطالب أن يتفرد عن قرناءه.
أم فرانس: هذا صحيح، وهو ما جعلنا مؤمنين بأن ينخرط فرانسوا في معهد إعداد الطهاة.
فرانسوا: وهو ما جعل برنارد شيف المعهد معجب بمهاراتي فجعلني مساعدا فشريك في المعهد ويا له من اختزال للزمن، أعرف من تخرج من الجامعة، وظل يبحث عن فرصة كهذه ولم يتمكن!
البيرتا: أما القفزات التي خطاها فرانسوا، فهي كبيرة بالفعل قياسا بالعمر الذي تمكن في إنجازها، وأعتقد أننا نحن هنا لا ننتقد نظام التعليم ومراحله، ولكن ننتقد تعليب الفكر، حين لا يرى سوأ مسارا واحدا للإنجاز والريادة.
بن بردان: كما أشارت البيرتا، الغريب أننا نلاحظ بأم أعيننا كيف أن نائبا في البرلمان يعلو المنصب فقط لأنه ذو سمعه مالية كبرى، في الوقت الذي يفتقد فيه لشهادة جامعية، وهو ما جعل عالمنا العربي والإسلامي يتخلف إذ جعل للجامعين وأصحاب الشهادات العليا، مسارا أخضرا في إدارة البلاد، متناسين مهارات ومواهب وإبداعات الشباب وهو ما يمثل ليس أقل من 50% من قوة الشرق الأوسط ، وأذكر تماما أحد أصدقائي في بريطانيا كان يقول لي وقد كان يدرس الدكتوراه في جامعة مانشستر كيف أن رئيس قسم الكلية لديهم ليس لديه شهادة دكتوراه، كما أن صديق آخر أبلغني بأن ملكة بريطانيا قد منحت أحد الاذاعيين في إذاعة البي بي سي نيشانا بموجبه تم اعتباره مرجعا لكلية العلوم السياسية في جامعة أكسفورد، وهو لا يملك شهادة دكتوراه، وجميع الدكاترة في جامعة أكسفورد يفتخرون بأنهم قد تعلموا على يده، هذا يبلغنا بأن ثمة ما يحتاج لإعادة النظر فيه حيال ما يجرى من تقليد أعمى في العالم العربي الإسلامي لأنظمة غربية لا تقبل التغيير والتبديل.
أم فرانسوا: كما إن مقولة "الناس معادن"، تشير إلى ما أشرتم إليه، فليس الذهب كالفضي، وليس الزئبق كالحديد، فلكل ما يتفرد به من صفات، غبي هذا الذي يريد أن يتعامل مع الحديد على أنه ذهب، أو الفضي على أنها زئبق.
كان يوما ممتعا ومتعبا في ذات الوقت لأسرة فرانسوا، حيث إقامتهم لن تتجازر اليومان لفرنسا، ولكن بعد إصرار من والديهما قررا أن يبقوا لخمس أيام كفرصة يأخذ فرانسو فيها البيرتا لمعاينة المتاحف والقصور في باريس القديمة، وفرصة للجدة أمينة لاحتضان أمين لبضع أيام كذلك برا بالجدة، عميدة عائلة بن بردان.

إضاءة غرفة فندق رينيسانس فينيسا على مدى أسبوع لم تكن مضائه، لتنتقل الكامرة للمنزل المقابل للقناة المائية، ليلا، فإذا بذات الشباب وهم يلعبون الورق، أحدهم لصاحبهم، لم يصدق ظنك طوال أسبوع على غرفة الفندق، لم نجدها قد أضيئت على مدى أسبوع في الساعة الثالثة والنصف ليلا!
فإذا بها تضاء فجئة في تمام الساعة الثالثة والنصف مجددا.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف في سطور

د. زهير منصور المزيدي

* 30 عاماً في تخطيط الحملات الإعلانية والإعلامية وتصميمها وتنفيذها والإنتاج التلفازي.

1. مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة TC للدعاية والإعلان، 1985.
2. مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة سبوت للإعلان التجاري في تلفاز دولة الكويت، 1995.
3. مؤسس إدارة الإعلام في بيت التمويل الكويتي، 1986.
4. مؤسس إدارة العلاقات العامة والإعلام في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، 1984.
5. مؤسس شركة الرؤية والكلمة المختصة في إنتاج الأفلام الدعائية التلفازية.
6. مؤسس ومستشار شركة CIRCLE للخدمات الإعلامية المتكاملة (شركة كويتية مقفلة).
7. مؤسس ومدير عام "الإعلاميون العرب" للاستشارات الإعلامية والتسويقية.
8. مؤسس شركة نتووورك بروغرامنج المحدودة لشراء حقوق وتسويق برامج مع الشبكات التلفازية في الدول العربية.
9. رئيس تحرير مجلة أسواق (إعلانية تسويقية أكاديمية)، التي تصدر في الكويت، 1994.
10. نائب رئيس اللجنة الأميرية لتأسيس قناة تلفازية للشباب في دولة الكويت، 1987.
11. عضو مجلس إذاعة الحياة وتلفاز الليليان في البلقان.

العضوية والجوائز:

1. عضو لجنة التحكيم لجمعية الإعلان الدولية IAA، الإمارات العربية المتحدة، 1996.
2. عضو لجنة التحكيم لجائزة لندن الدولية للإعلان والسينما، لندن، 1999.
3. عضو لجنة تحكيم جائزة "كريا" التابعة لمجلة عرب آد.
4. عضو لجنة تحكيم جائزة الإبداع الإعلاني، جامعة الكويت.
5. يتمتع بالعضوية في عدد من الجمعيات الإعلامية الدولية:
(جمعية الإعلان الدولية، جمعية التسوق الخليجية، جمعية التسوق الأمريكية، جمعية الصحفيين الكويتية، الاتحاد الكويتي للإعلان.)
6. حاز عدداً من الجوائز الدولية في مجال الإعلان، أبرزها الجائزة العالمية للإعلان عن الشرق الأوسط وأوربا، برشلونة، 1992.
7. عضو مؤسس للاتحاد الكويتي للإعلان، 2000.
8. عضو مؤسس ومدير برامج تدريبية في معهد الدراسات الإدارية والفنية، 1988.
9. خبير إعلامي معتمد عند غرفة تجارة وصناعة الكويت.

المؤلفات والدراسات الإعلامية والتسويقية:

1. مقدمة في منهجية الإبداع، الكويت، 1984.
2. الجامعات المفتوحة وأضواء على إنشاء جامعة مفتوحة في الخليج والكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1985.
3. حركة الكامرة فى القصص القرآني – نظرية زمرد ، أسطنبول ، باللغة التركية ،2010
4. قوة العلامات التجدارية ، الكويت ،2010
5. تفعيل القيم وممارستها ، 2010
6. إستكشاف القيم صيانتها ومعالجتها ، 2010
7. محفز القيم ، 2010
8. بحث حول: تدريس المواد الشرعية عن بعد (وزارة الأوقاف)، الكويت، 1994.
9. دراسة حول: إنشاء بنك النصوص الإعلامي، 1994.

10.دراسة حول: القوانين الاحترازية في مجالات الإعلام والإعلان في العالم (الديوان الأميري)، 1994.
11.الادراك والقيم
12.صيد المفهوم
13.المشغولات اليدوية وغرس القيم
14.طبقات البرمجة للقيم في القرآن الكريم
15.قصة كستن والقيبقب
16.قصة منطق الطير
17.قصة ماكان في جزيرة خيوس اليونانية